روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً !!

د. نبيل فاروق

139 حرب الأشباح

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ العـودة ..

انبعث شعاع رفيع من الليزر ، من ثقب دقيق ، أعلى باب حجرة مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، يفحص وجه الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، قبل أن يتركز لحظة عند قزحية عينيه ؛ لفحص بصماتها بدقّة ، تبلغ نسبة الخطأ فيها واحد إلى مليار ، قبل أن يقول صوت آلىّ هادئ :

ـ مرحبًا يا دكتور (جلال) .. القائد الأعلى فى انتظارك .

مع نهاية الكلمات المسجَّلة ، انفتح باب حجرة القائد الأعلى فى هدوء ، وجاء من خلفه صوت يقول :

ـ تفضَّل يا دكتور (جلال) .. نحن فى انتظارك .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، فى دهشة مبهورة ، وهو يدلف إلى حجرة القائد الأعلى ، هاتفًا :

ـ سيادة الرئيس ؟! يا إلهى ! لم أتوقَّع رؤيتك هنا قط ، بكل المقاييس ، فالقواعد ....

قاطعه رئيس الجمهورية بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول فى حزم ، حمل قدرًا كبيرًا من التوتر :

ـ أعلم هذا يا دكتور (جلال) .. أعلم أن القواعد تنصّ على انتقال القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ومدير المخابرات العامة ، إلى رياسة الجمهورية وليس العكس ، ولكن الأمر مهم وخطير هذه المرة ، حتى ليستحق كسر كل النظم والقواعد ؛ لضمان السرية ، ومضاعفة فرص النجاح .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه متفهمًا ، وهو يدير بصره بين مدير المخابرات العامة ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ورئيس الجمهورية ، وعقله يسترجع تلك الأحداث الجسام ، التى تطوَّرت بسرعة ، لتجمع أخطر ثلاثة رجال فى الدولة معًا ..

فالأمر كله بدأ بحادثة الغوَّاصة النووية المصرية (ب . ن ـ ١٠٣) ، التى فوجئت بمركبة مجهولة

تتجه نحوها ، بسرعة لم تتحقَّق لأية مركبة أرضية قط ، على عمق ثلاثمائة متر من سطح البحر ، ثم ترتطم بمقدمتها بمنتهى العنف ..

وغاصت الغوَّاصة المصرية المصابة ..

حتى أعماق البحر ..

ورصدت الأقمار الصناعية الجيولوجية ما حدث ..

رصدت الغوَّاصة القابعة ، على عمق ألف ومائتى متر ، تحت سطح البحر ..

وبدأت عملية الإنقاذ ..

المدمرة (فجر) ، مع طاقم من زوارق الطوربيد ، انطلقت فورًا إلى موقع غرق الغوَّاصة (ب . ن ـ ١٠٣) ، ثم لم تلبث طوَّافة عسكرية أن نقلت (نور) وفريقه إلى الموقع ، باستثناء (نشوى) ، التى ذكرها ما يحدث بحادثة قديمة ، كان لها أعنف تأثير ، على مسار حياتها بأكمله ..

وهنا ، بدأت سلسلة من الحوادث الغامضة ..

والرهيبة ..

للغاية ..

مركبات مجهولـة حـاصرت المدمـرة (فجـر) ، وزوارق الطوربيد ..

مركبـة الغوص (شـارك) ، اختفت بطاقمها فـى الأعماق بطرفة عين ، إثر وميض غـامض ، انبعث من الأعماق ..

ثم حان دور الأشباح ..

أشباح غامضة رهيبة ، رصدها الغوّاص الآلى ، فـى أعماق البحر ، تعبر جدار الغوّاصة الغارقة ، وكأنهـا مجرّد صور هولوجرافية ، وعلـى الرغم مـن هذا ، فأسلحتها تعمل بكفاءه تامة ، وكأنها لأجسام مادية قوية ..

مزيج متناقض عجيب ، بث الخوف فى القلوب ..

كل القلوب ..

وكان على القيـادة فـى (القـاهرة) أن تتخذ قرارًا حاسمًا قويًّا ، إزاء ما يحدث ..

وقرَّر رئيس الجمهورية إرسال مستشاره الأمنى الخاص السيِّد (أمجد صبحى) ، لمتابعة الموقف بنفسـه ، على متن المدمرة (فجر) ، التى انقطعت اتصالاتها بالعالم الخارجى بغتة ، دون سبب معروف ..

ولكن حتى (أمجد) نفسه اصطدم بتلك الأشباح ..

شبح غامض ، فاجأه فى منزله ، وهو يعدّ العدة للرحيل ، وأطلق عليـه فقاعـة أرجوانيـة عجيبـة من سلاحه ، و ...

واختفى السيِّد (أمجد) ..

تمامًا ..

وفى نفس الوقت ، الذى واجه فيـه (نـور) و(أكـرم) المصير نفسه ، فى أعماق البحر ، فى أثناء سعيهما لإنقاذ وانتشال (ب . ن ـ ١٠٣) ، كانت (نشوى) تطرح نظرية جديدة ، يمكنها أن تفسِّر غموض الموقف كله ..

نظرية عجيبة ، تنسب كل مـا يحدث لخصوم من المستقبل ..

مستقبلنا ..

وبينما تقاتل لإثبات نظريتها ، اختفت (مشيرة) ، زوجة (أكرم) ، ورئيسة تحرير جريدة أنباء الفيديو المصوَّرة ، مع أحد مصوِّرى جريدتها ، فى حادث غامض رهيب ، ارتبط أيضًا بوميض من الأعماق ..

ثم جاءت تلك الدوَّامة ..

دوَّامة ضوئية رهيبة ، هاجمت المدمرة (فجر) ، وما يحيط بها من زوارق الطوربيد ، وراحت تحطم وتبتلع كل شىء بلا رحمة أو هوادة ..

وفى الوقت نفسه ، كانت المفاجآت تتوالى ..

فريق جديد من المخابرات العلمية ، بقيادة الرائد (هيثم) ، راح يسعى لالتقاط الآثار الحرارية القديمة ، فى المنزل الذى اختفى فيه السيِّد (أمجد) ؛ فى محاولة لتفسير ما حدث ..

وتمت عملية الالتقاط بنجاح ..

وتم رصد ذلك الشبح الغامض ..

وبوساطة برنامج خاص ، بدأ الفريق العلمى فى تحديد ملامح وجه الشبح ، و ...

وكانت مفاجأة ..

مذهلة ..

وفى منزلها ، كانت (نشوى) تجمع احتياجاتها الرئيسية ؛ للانتقال إلى مقر عمل الفريق ، فى إدارة المخابرات العلمية ، لمواصلة العمل على تأكيد نظريتها ، والسعى لإنقاذ أسرتها وزملائها ، عندما فوجئت بزائر يدق باب منزلها ، فى هذا الوقت المتأخر ..

زائر لم يكد بصرها يقع عليه ، حتى انتفضت كل ذرة فى كيانها بذهول لا محدود ..

فقد كان هذا هو آخر شخص يمكن أن تتوقَّع ، أو حتى تتخيَّل رؤيته ، فى تلك اللحظات بالذات ..

آخر شخص على الإطلاق ..

أما تلك الطوّافات، التى انطلقت لإنقاذ المدمرة (فجر)، إثر الاستغاثة التى أرسلتها، فقد كانت فى انتظارها مفاجأة جديدة ..

أعنف المفاجآت ..

وأقواها(*) ..

« ما تقييمك لنظرية السيّدة (نشوى) يا دكتور (جلال) ؟! »

ألقى الرئيس سؤاله، فى اهتمام بالغ، مشوب بلمحة عصبية، على نحو انتزع الدكتور (جلال) من ذكرياته وجعله يشدّ قامته، فى وقفة معتدلة، فى حين غمغم مدير المخابرات العامة فى شىء من الضيق :

- نظرية سخيفة .

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأوّل .. (الأعماق) .. المغامرة رقم (١٣٨) .

انعقد حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى توتر، فى حين التفت الرئيس إلى مدير المخابرات بنظرة صارمة غاضبة، فاستطرد فى حدة :

- لا يوجد دليل واحد يؤيّدها، وفى عالمنا، نحتاج إلى مايؤيّد أى استنتاج حاسم، يمكن أن يغيّر مسار الأحداث كلها .

تطلّع إليه الرئيس لحظة فى صرامة، قبل أن يقول :

- لهذا كانت المخابرات العلمية ضرورة .

مطّ مدير المخابرات شفتيه، والتقى حاجباه فى غضب، فى حين التفت الرئيس إلى الدكتور (جلال)، مكرّرًا :

- ما تقييمك لها يا دكتور (جلال) ؟!

تنحنح الدكتور (جلال) وعدّل منظاره فوق أنفه، قائلاً :

- الواقع أن نظريتها هذه صدمتنا جميعًا .

غمغم مدير المخابرات :

- أمر طبيعى .

مرة أخرى ، رمقه الرئيس بتلك النظرة الصارمة ، ثم عاد ببصره إلى الدكتور (جلال) ، الذى تابع :

- إلا أننا ، وبعد دراسة عميقة لها ، وجدنا أنها إحدى نظريتين يمكنهما تفسير الموقف كله ، على الرغم من غرابتهما .

سأله الرئيس فى اهتمام :

- وما النظرية الثانية ؟!

أشار الدكتور (جلال) بسبَّابته ، قائلاً :

- العوالم الموازية .

هتف مدير المخابرات ، فى دهشة مستنكرة :

- ماذا ؟!

تابع الدكتور (جلال) ، وكأنه لم يسمع تعليقه :

- إنها نظرية قديمة ، تحدَّث عنها وأيَّدها العديد من العلماء ، قبل حتى أن تأتى نظرية النسبية ، لـ (ألبرت أينشتين) ، وتؤيد احتمالها ، بمعادلات رياضية دقيقة .. بل وهناك بعض الأحاديث الدينية ، التى تشير إلى وجود عوالم كعالمنا ، بها أناس مثلنا(*) ..

بدا الاهتمام على وجه مدير المخابرات ، وهو يتساءل :

- حقًّا ؟!

تابع الدكتور (جلال) ، حتى لا يفقد انتباهه :

- والنظريات المتطوِّرة ، حول العوالم الموازية ، تشير إلى احتمال اختلاف التوقيت ، بين هذه العوالم ، بحيث يكون فى أحدها متقدمًا ، وفى الآخر متأخرًا ، وهكذا .. بمعنى أدق ، ليس بالضرورة أن تسير الأحداث على نفس التوقيت ، فى كل العوالم المتوازية .

(★) حقيقة .

سأله الرئيس فى اهتمام :

- هل تعنى أن خصومنا قد أتوا من عالم آخر موازٍ ، يعتبر فى توقيته أشبه بمستقبلنا ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً :

- هذه نظرية أخرى ، مقبولة علميًا .

تساءل القائد الأعلى للمخابرات العلمية :

- السؤال هنا هو : لماذا ؟! لماذا يسعى عالم موازٍ لنا للسيطرة علينا ؟!

أجابه مدير المخابرات العامة فى حزم :

- خبرتى علمتنى أن هناك دائمًا قومًا ، يرون أنهم ماداموا أقوى من الآخرين ، فمن الطبيعى أن يسعوا للسيطرة عليهم ، دون وجود أية مبررات منطقية لهذا .

غمغم الرئيس :

- هذا صحيح ..

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى توتر :

- ولكن كل ما لدينا مجرَّد نظريات ، لم تنجح إحداها فى حل المشكلة ، أو فى إعادة أحد المختفين .

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

- الحل يأتى بعد فهم المشكلة يا سيادة الرئيس .

لوَّح الرئيس بيده ، قائلاً فى مرارة :

- ولكن الأمر يزداد تعقيدًا فى كل لحظة ، وها هى ذى المدمرة (فجر) ترسل إشارة استغاثة ، وتطالب بإرسال سرب من طوَّافات الإنقاذ إليها ، وهذا يعنى أنها لم تعد قادرة على السيطرة على الموقف .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- هذا صحيح يا سيادة الرئيس ، ولقد رصد القمر الصناعى الجيولوجى دوَّامة ضوئية وبحرية رهيبة ، تأتى من مصدر مجهول ، فى أعماق البحر ، وتبتلع زوارق الطوربيد بلا رحمة ، ثم رصد توقُّفها المفاجئ ، قبل أن يسطع الضوء فجأة ، وينتهى كل شىء .

سأله الرئيس فى توتر :

ـ ماذا تعنى بعبارة (ينتهى كل شىء) هذه ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، مجيبًا :

ـ الدوَّامة توقَّفت ، والقمر الصناعى الجيولوجى سجَّل حالة هدوء تام ، فى أعماق البحر .

سأله الرئيس :

ـ وماذا عن المدمرة (فجر) ، والغوَّاصة (ب . ن ـ ١٠٣) ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ لقد انقطعت الاتصالات مرة أخرى ، عقب ذلك الضوء الساطع القوى ، ولكن الطوَّافات ستبلغها بعد قليل ، أو أنها قد بلغتها بالفعل ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز جهاز التقارير العاجلة ، وبرزت منه ورقة مطبوعة ، التفت إليها القائد الأعلى فى سرعة ، وهو يقول :

ـ لقد وصلت ، وها هو ذا تقريرها المبدئى .

انتظر حتى انتهى خروج الورقة ، فالتقطها بحركة سريعة ، وطالعها بنظرة واحدة ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، فى ذهول مذعور ، انتقل إلى كل الحاضرين ، والرئيس يهتف به :

ـ ماذا هناك يا رجل بالله عليك ؟!

رفع إليه القائد الأعلى عينين ، ما زالتا تحملان كل الذهول والذعر ، وارتبكت الكلمات على شفتيه لحظة ، قبل أن يقول بصوت شاحب مبحوح :

ـ أمر لأيصدَّق .

وكان على حق تمامًا ، فى كل حرف من عبارته ، فما حمله التقرير الأوَّلى لطوافات الإنقاذ ، كان أمرًا لا يمكن تصديقه ..

على كل المستويات ..

* * *

لم تصدّق (نشوى) نفسها ، وهى تحدّق فى وجه ذلك الشاب الهادئ الباسم ، الذى وقف يتطلّع إليها بوسامته الأنيقة ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- ألن تدعينى للدخول ؟!

هتفت ، ولم يفارقها ذهولها بعد :

- مستحيل ! لا يمكن أن تكون هنا !!

أزاحها برفق ، وهو يدلف إلى منزلها ، ويُغلق بابه خلفه ، قائلاً :

- ولماذا ؟! لقد كنت هنا من قبل .

تابعته ببصرها ، وهو يقف فى منتصف الصالة ، ويقول :

- ماذا ؟! إننى لست شبحًا ، لتحدقى فى وجهى بكل هذا الذعر .

هزّت رأسها فى قوة ، لتنفض عنها ذهولها ، قبل أن تهتف :

- ولكن هذا مستحيل يا (طارق) ! لا يمكنك أن تتواجد مرتين فى زمن واحد !!

جاء دوره ليحدّق فيها ، متسائلاً فى دهشة :

- مرتين ؟! ماذا تعنين ؟!

اندفعت بكيانها كله نحو (طارق) فارس الزمن ، الذى أتى يومًا من المستقبل ، لينضمَ إلى فريق (نور)(*) ، وجذبته من يده ، هاتفة :

- تعال ..

تبعها إلى حجرة نوم صغيرة ، وأشارت هى إلى طفل يرقد نائمًا فى وداعة ، وهى تقول فى عصبية :

- دعنى أقدّم لك (طارق) .. أخى الصغير .. ابن المقدّم (نور الدين) ، والمهندسة (سلوى) .

ابتسم فى حنان وسعادة ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!

(*) راجع قصة (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) ..

حدَّقت فى وجهه مرة أخرى ، قبل أن تقول فى عصبية شديدة :

ـ ألا يدهشك هذا ؟!

استدار إليها فى هدوء ، متسائلاً :

ـ ولماذا يدهشنى ؟!

هتفت فى حدة :

ـ لأنك هنا وهناك ، فى آن واحد .

ارتفع حاجباه ، وهو يكرِّر :

ـ هنا وهناك ؟!

ثم تألَّقت فى عينيه ضحكة كبيرة ، وهو يقول :

ـ آه .. هل كنت تتصوَّرين أننى هذا الصغير ؟!

اتسعت عيناها ، وهى تهتف :

ـ ألست هو ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ كلَّا بالطبع .. لو أننى هو لاستحال تواجدنا معًا ، فى زمن واحد ؛ لأن الروح واحدة ، ولا يمكن أن تتكرَّر ، إلا بأمر الخالق عزَّ وجلَّ .

غمغمت فى ذهول :

ـ رباه ! ولكننا كنا نظن جميعًا أن ..

قاطعها بإشارة حازمة من يده :

ـ تظنون .. مجرَّد ظن .. دليل غير علمى أو عملى ، بنيتم عليه كل مشاعركم وأحاسيسكم .

هتفت :

ـ ولكننى رأيت انفعال الآخرين ، عند مولد (طارق) الصغير ، و ...

قاطعها مرة أخرى فى حزم :

ـ لقد أخطئوا قراءة البصمة الجينية ومقارنتها ؛ أو أنهم لم يحاولوا دراستها من منظور آخر .

حدَّقت فى وجهه ، وهتفت ، وهى تشير إلى (طارق) الصغير :

- إذن ، فأنت لست هو !!

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

- كلاً .. لست هو .

وصمت لحظة ، التقط خلالها نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى شىء من الانفعال والتوتر :

- القائد (نور) ليس أبى .

هتفت بانفعال جارف :

- مستحيل ! البصمة الجينية أكَّدت ..

قاطعها فى عصبية :

- إنه ليس أبى .

ثم التقى حاجباه ، على نحو جعله شديد الشبه بـ (نور) ، وهو يتابع فى صرامة :

- ثم إننى لم أجازف باختراق عكسى لحاجز الزمن ، لمناقشة هذا الأمر .

سألته فى توتر :

- لماذا عدت إذن ؟!

شدّ قامته ، وهو يجيب فى حزم :

- لم يكن بالقرار السهل أو الهيِّن .. لقد تردَّدت مرتين قبل أن أقترح القيام بهذه المهمة ، ولقد وافق القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى زمنى ، على قيامى بهذه المهمة ؛ نظرًا لأهمية الأمر وخطورته .

سألته ، وقد تسلَّل إليها شىء من الحذر :

- أى أمر ؟!

تطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يجيب :

- حادثة الغوَّاصة (ب . ن - ١٠٣) .

اتسعت عيناها ، وتلاحقت أنفاسها فى انفعال ، وهى تهتف :

- إذن فقد كنت على حق .. إنهم من المستقبل .

بدا صوته مفعمًا بالاحترام ، وهو يقول :

- كنت دائمًا على حق .

أمسكت ذراعه فى انفعال ، وهى تقول :

- إنهم من المستقبل .. من زمنك يا (طارق) .. أليس كذلك ؟!

ربَّت على كتفها ، محاولاً تهدئتها ، وهو يجيب :

- كلا .. إنهم من زمن يعقب زمنى بخمسة أعوام فحسب ، ولكنك تعرفين عجلة التطوُّر المتسارعة ، التى تدفع بالعلم عشرات الخطوات إلى الأمام ، فى كل دورة تدورها .

سألته فى لهفة :

- ومن هم ؟!

بدا عليه مزيج من الغضب والمقت ، وهو يجيب :

- مجموعة من حثالة البشر .. بقايا منظمات صهيونية حقيرة ، تجمَّعت واجتمعت على الشر ، وتسعى

للسيطرة على العالم والتاريخ ، عن طريق تكنولوجيا المستقبل المتطوِّرة ، بعد أن توَصلوا إلى سر الانتقال عبر الزمن ، من خلال عميل خائن ، فى صفوف القيادات العليا المستقبلية .

تساءلت فى دهشة :

- ولماذا زمننا هذا ؟! لماذا لم يحاولوا العودة إلى قرن مضى ؛ للسيطرة على عالم لم يعرف التكنولوجيا الحديثة بعد ؟!

هزَّ رأسه ، قائلاً :

- لم يكن هذا فى استطاعتهم .. لقد حصلوا على جزء يسير من تكنولوجيا السفر عبر الزمن ، لا يتيح لهم الانتقال لمسافات بعيدة ، ولقد حاولوا تطويره ، ولكن النتائج جاءت أشبه بالكارثة ، عندما اصطدموا بالغوَّاصة الروسية (كورسيك) ، وحاولوا السيطرة عليها ، ولكن أجسادهم تحللت فجأة ، قبل أن تتم لهم السيطرة الكاملة ؛ لأن تكنولوجيتهم لم تحقق لهم التوازن الخلوى الكافى ، للسفر عبر الزمن ، لكل هذه المسافة .

تساءلت فى لهفة :

ـ هل تعنى أن زمننا هو أبعد مسافة ، يمكنهم الانتقال إليها ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ ليس أبعد مسافة ، ولكنها مسافة مناسبة ، تتيح لهم سهولة الانتقال ، والتوازن الخلوى الكافى ، وفرصة التعديل فى النتائج أيضًا .

التقى حاجباها ، وهى تسأله فى حذر :

ـ ما المقصود بالتعديل فى النتائج ؟!

ابتسم ابتسامة حملت الكثير من المرارة ، وهو يجيب :

ـ شىء أشبه بإعادة عرض فيلم ما ، مع إمكانية تعديل تتابع الأحداث ، للوصول إلى نتائج أفضل .

سألته فى حذر أكثر :

ـ بمعنى ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وأجاب :

ـ بمعنى أنهم يعودون إلى زمن ما ، وينفذون خطة السيطرة عليه ، فإذا ما واجهتهم عقبة ما ، ينهون المهمة ، ثم يعودون إلى الزمن نفسه مرة أخرى ويسعون لتذليل العقبة ، قبل تنفيذ خطتهم للمرة الثانية ، وهكذا حتى تتم لهم السيطرة الكاملة .

اتسعت عيناها ، وهى تهتف :

ـ يا للعبث !

وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً فى مرارة :

ـ عبث شيطانى حقير ، ولكنه يحقِّق أهدافهم ، التى تخالف كل القوانين ، الخاصة بالسفر عبر الزمن .. تذليل العقبات ..

وصمت لحظة ، قبل أن يتابع فى مقت :

ـ هذا ما جعلهم يختطفون السيِّد (أمجد) ، والمقدَّم (نور) ، و(أكرم) ، فكلهم كان لهم تأثير قوى فى مجرى الأحداث ، فى المحاولات الأولى ، و ...

قاطعته فى حدة ، متسائلة :

ـ مهلاً .. ماذا تعنى بالمحاولات الأولى ؟!

مرة أخرى تطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ إنـه أمـر واضـح يـا سيِّدة (نشـوى) .. فربمـا كانت هذه الأحداث ما تواجهونه أنتم للمـرة الأولـى ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لهم .

امتقع وجهها ، وهى تكرِّر :

ـ ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

شدَّ قامته ، وأجابها فى حزم :

ـ أعنى أنها ، بالنسبة لهم ، ثـالث مرة يقومـون فيها بالعمل نفسـه ، ففـى المـرة الأولـى ، هزمهـم المقدَّم (نور) وفريقه ، فعادوا للمرة الثانية ، وكان لتدُخل السيِّد (أمجد) الفضل فى هزيمتهم ، وسحق خطتهم كلها ، لذا ، فقد عادوا للمرة الثالثة ؛ لتصفية كل مـن أفسد محـاولاتهم السـابقة ، قبـل السـيطرة الكاملة على الموقف .

دار رأسـها ، وهى تحدِّق فـى وجهـه ، وعقلهـا يجاهد لاستيعاب ما شرحه لها فورا هذه اللحظة ..

ولكنه أمر عسير ..

عسير للغاية !!

فليس من السهل أبدًا ، حتى بالنسبة لعقل علمى كعقلها ، أن يستوعب أمرًا خارقًا كهذا ، يفوق كل عقل وإدراك ..

ليس مـن السـهل أبدًا أن تتخيَّل أو تتصـوَّر ، أن ما يحدث الآن ، قد حدث مرتين سابقتين ، بالنسبة لقراصنة الزمن هؤلاء ، وأنهم يكرِّرونه للمرة الثالثـة ؟ لتفادى أخطاء وعقبات المرتين السابقتين ..

وبارتيـاع عجيب ، حدَّقت فى وجـه (طـارق) ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

فلو صح ما استوعبته من حديثه ، فهذا يعنى أنه من الممكن أن تكون هناك مرة رابعة ..

وخامسة ..

وسادسة ..

أو بمعنى أدق ، أن عالمها يواجه خصومًا ، يمتلكون مزية العودة للبداية ، وتصحيح الأخطاء ، وتجاوز العقبات ، لعدد لا محدود من المرات ..

وهذا يعنى أنه لا أمل فى الانتصار عليهم أبدًا ..

لا أمل ..

على الإطلاق .

* * *

٢ ـ الحاجز ..

« من طوافات الإنقاذ إلى القاعدة .. بلغنا موضع المدمرة (فجر) ، ويمكننا رصدها فى وضوح ، وننتظر الإذن بالهبوط .. »

لم تكد القاعدة البحرية تتلقى ذلك النداء ، من سرب طوافات الإنقاذ ، حتى ضغط قائد القاعدة زر جهاز الاتصال ، وقال فى حزم :

ـ من القاعدة إلى طوافات الإنقاذ .. كل الاتصالات بالمدمرة (فجر) مقطوعة لسبب مجهول .. حاولوا الحصول على إذن بصرى بالهبوط على سطحها .

أتاه صوت قائد سرب الطوافات ، يقول :

ـ لا يمكننا رصد أية حركة على السطح ، ولا أثر لأى من بحارتها أو ضباطها .. كل الأضواء مطفأة .

انعقد حاجبا قائد القاعدة البحرية ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال :

- فلتهبط الطوَّافات إذن ، على ثلاث دفعات تصاعدية .. ابدأ بطوَّافتين فحسب .

أتاه صوت قائد السرب ، يقول فى حزم :

- عُلِم ويُنَفَّذ .

قالها قائد سرب الطوَّافات ، وهو يرسل إشارة إلى اثنتين من طوَّافاته ، فانفصلتا عن السرب ، وانخفضتا نحو سطح المدمرة الخالى المظلم ، وقائد إحداهما يقول ، عبر جهاز الاتصال :

- كل شىء يبدو ساكنًا على السطح .. إننا نقترب بحذر .

أجابه قائد السرب فى حزم :

- اهبطا على السطح ، وتفقَّدا الموقف هناك .. سننتظر إشارتكما للهبوط .

اقتربت الطوَّافتان من سطح المدمرة أكثر وأكثر ، وقائد إحداهما يقول فى قلق ، عبر جهاز الاتصال :

- ثلاثة أمتار ونبلغ السطح .. كل شىء هنا عجيب .. هناك انعكاسات غير مألوفة ، على كل شىء .

أجابه قائد السرب :

- واصلا الهبوط .

انخفضت الطوَّافات أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبلغتا السطح ..

ثم تجاوزتاه بغتة ..

وفى ذهول مذعور ، هتف قائد إحدى الطوَّافتين ، وهو يغوص بطوَّافته ، فى جسم المدمرة ، كما لو أنه لا وجود لها :

- رباه ! ما هذا بالضبط ؟! إنها ليست المدمرة (فجر) .. إنها صورة هولوجرامية سخيفة ، و ...

قالها ، وهو يغادر الطوّافة ، ويضرب ذراعيه فى الماء من حوله ، غير مصدّق لما حدث ، ولما أصاب طوّافته ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتطمت قاعدة طوّافته بسطح البحر ، واختلّ توازنها بغتة ، ومالت مروحتها على نحو مخيف ، فصاح قائد السرب :

ـ إلى أعلى .. ارتفعا فورًا .. إنها خدعة .. ارتفعا فورًا .

استجاب قائد الطوّافة الثانية فى سرعة ، وجذب عصا القيادة نحوه ، فارتفعت طوّافته ، قبل أن تغوص فى الهيكل الشبحى للمدمرة ، فى حين ارتطمت مروحة الطوّافة الأولى بالمياه ، وتحطمت فى عنف ، قبل أن تغوص الطوّافة نفسها فى البحر ، وقائدها يصرخ :

ـ يا إلهى ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

قالها ، وهو يغادر الطوّافة ، ويضرب ذراعيه فى الماء من حوله ، غير مصدّق لما حدث ، ولما أصاب طوّافته ..

أما قائده ، فقد دار بطوّافته حول المدمرة ، وهو يقول فى عصبية ، عبر جهاز الاتصال :

ـ أمر مذهل .. المدمرة كاملة أمامى ، بكل تفاصيلها ،

ولكنها تحولت إلى شبح ، وفقدت قوامها المـادى تمامًا .. لست أفهم كيف حدث هذا ، ولكنه حدث .. تلك الانعكاسات ، التى رصدناها على سطحها ، كانت فى الواقع تموجات البحر من تحتها ، كما نراها عبر جسمها نصف الشفاف .

أتاه صوت قائد القاعدة البحرية ، يسأله فى انزعاج مشوب بدهشة عارمة :

ـ نصف شفاف ؟! يا إلهى ! وماذا عن الغوَّاصة ؟!

دار قائد السرب بطوَّافته دورة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ الغوَّاصة على سطح الماء .. جسمها يعكس أضواء مصابيح الطوَّافة على نحو عادى ، يشير إلى أنها طبيعية تمامًا ، و ...

بتر عبارته بغتة بشهقة مكتومة ، جعلت قائد القاعدة البحرية يهتف به :

ـ ماذا حدث يا رجل ؟! ماذا حدث ؟!

أجابه قائد السرب ، فى توتر شديد :

ـ الغوَّاصة مربوطة بسلسلة معدنية قوية ، إلى جسم المدمرة ، ونصف هذه السلسلة ، المتصل بالغوَّاصة ، ما زال يحتفظ بقوامه المادى ، فى حين أن النصف المتصل بالمدمرة ، يشاركها حالتها الشبحية العجيبة !! رباه ! لست أدرى كيف هذا !! لست أدرى !!

كان صوته يحمل قدرًا هائلاً من الدهشة والانزعاج ، اللذين انتقلا فورًا إلى قائد القاعدة البحرية ، الذى التقى حاجباه بكل توتر الدنيا ، وهو يغمغم :

ـ لا أحد يدرى كيف !!

فالموقف كله كان غامضًا ومثيرًا ورهيبًا ..

إلى أبعد الحدود ..

بحق ..

* * *

اجتمع الرجال الأربعة ، رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ومدير المخابرات العامة ،

والدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية ، حول مائدة اجتماعات خاصة ، فى نفس الطابق ، الذى يضمّ حجرة مكتب القائد الأعلى ، فى مبنى المخابرات العلمية ، يراجعون ذلك التقرير ، الذى أرسله قائد سرب الطوّافات ، والمدعّم بتقرير قائد القاعدة البحرية ، حول ما أصاب المدمرة (فجر) ، وحول اختفاء طاقمها ، وكل من على سطحها تمامًا ..

وفى توتر شديد ، قال مدير المخابرات :

ـ ما يحدث أمر يتجاوز حدود العقل ، حتى ليبدو لى أن خبرتى لن تفيد فى هذا المضمار .

أجابه رئيس الجمهورية فى حزم :

ـ دعنا لا نسبق الأحداث ؛ فنحن نواجه خصومًا نجهلهم ، ومن الخطأ الوصول إلى أية استنتاجات ، قبل حسم هذه النقطة بالذات .

قال الدكتور (جلال) :

ـ الحالة الشبحية ، التى أصابت المدمرة (فجر) ،

مع اختفاء طاقمها بأكمله ، يمكن أن تدعم النظريتين معًا .

تساءل القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

مال الدكتور (جلال) إلى الأمام ، وقال :

ـ لو أن خصومنا قد أتوا من المستقبل ، فقد استخدموا وسيلة متطوّرة ، تضع أجسادهم ، وكل الأجسام التى تتعرّض لها ، فى حالة غير مستقرة بين زمننا وزمنهم ، مما يجعلهم فى هذه الحالة الشبحية العجيبة .. أما لو كانوا من عالم مواز ، فأجسادهم ، وجسم المدمرة ، فى حالة تتأرجح بين العالمين ، وهذا يعطينا النتيجة نفسها .

قال مدير المخابرات فى عصبية :

ـ فى الحالتين ليست لدينا وسيلة لمقاومة الأمر ..

تراجع الدكتور (جلال) فى مقعده ، قائلاً فى حزم :

ـ ومهمتنا أن نبحث عن هذه الوسيلة .

قال الرئيس فى صرامة :

- وفى الوقت المناسب .. وهذا هو الأهم .

ارتفع أزيز آخر ، من جهاز التقارير ، فأشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- إنه تقرير فريق الرائد (هيثم) ، حول حادثة الاختفاء الغامض للسيِّد (أمجد صبحى) .

اعتدل رئيس الجمهورية ، وهو يمدّ يده إليه ، قائلاً فى حزم متوتر :

- أعطنى إياه .. أريد أن أكون أوّل من يطالعه .

التقط القائد الأعلى التقرير ، وناوله للرئيس ، الذى التقى حاجباه ، وهو يطالعه فى اهتمام بالغ ..

كان تقريرًا دقيقًا ، حول كل الإجراءات ، التى قام بها فريق الرائد (هيثم) ، لبحث الأمر ، وخطواتها المتتالية ..

وفى توتر ، قال الرئيس :

- إنه شبح آخر .

هتف مدير المخابرات :

- شبح آخر ؟! هل هاجمه شبح أيضًا .. يا إلهى !!

ثم تراجع فى مقعده ، ولوَّح بيده ، مستطردًا فى عصبيةً :

- هذا يعنى أن تلك الأشباح قد تجاوزت حدود البحر ، وبدأت تنتشر فى كل مكان .

لاحظ ، وهو ينطق عبارته ، أن الرئيس قد انتفض على مقعده ، فسأله فى قلق شديد :

- ماذا هناك يا سيادة الرئيس ؟!

هتف الرئيس فى عصبية ، دون أن يرفع عينيه عن التقرير :

- خطأ .. هناك خطأ حتمًا ، فى هذا التقرير .

ثم رفع عينيه إليهم ، مستطردًا :

- خطأ فادح .

بدا التوتر على وجه الدكتور (جلال) ، وأطلّ تساؤل

قلق من عينى القائد الأعلى ، فى حين تساءل مدير المخابرات :

ـ أى خطأ هذا ؟!

ألقى الرئيس التقرير نحو القائد الأعلى ، هاتفًا فى عصبية غاضبة :

ـ من المستحيل أن تكون هذه هى ملامح ذلك الشبح !

التقط القائد الأعلى التقرير ، ومال الرجلان الآخران نحوه ، ليلقيا عليه معه نظرة فاحصة ..

ولم تكد عيون ثلاثتهم تقع على الصورة الصغيرة ، فى نهاية التقرير ، حتى اتسعت عن آخرها فى ذهول ..

فالصورة التقديرية ، التى صنعها الكمبيوتر ، لملامح ذلك الشبح الغامض المجهول ، كانت تحمل ملامح مألوفة للغاية ..

ملامح آخر شخص يمكن تصوره ، فى هذه الحالة ..

(أمجد) ..

السيِّد (أمجد صبحى) ..

نفسه ..

ولثوان ، حدَّق الكل فى تلك الصورة ، قبل أن يضغط القائد الأعلى أزرار جهاز الاتصال الداخلى الخاص ، ويقول فى عصبية :

ـ صلنى بالرائد (هيثم) فورًا .

أما الدكتور (جلال) ، فقال فى توتر :

ـ ربما رصدوا ملامح السيِّد (أمجد) ، بدلًا من ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فاكتفى بهز رأسه ، قائلًا :

ـ ربما ..

ظهر وجه الرائد (هيثم) فى تلك اللحظة ، على شاشة جهاز الاتصال ، فقال القائد الأعلى فى توتر :

ـ يبدو أنه هناك خطأ ما فى تقريركم ، أيها الرائد (هيثم) .

تنهَّد الرائد (هيثم) ، مجيبًا :

ـ لا توجد أية أخطاء يا سيِّدى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ذلك الوجه ، الذى رصدتموه ، باعتباره وجه الشبح المهاجم ، هو فى الواقع ....

قاطعه الرائد (هيثم) فى توتر :

ـ إنه وجه الشبح يا سيِّدى .

ثم انتبه إلى مجافاة مقاطعته لكل القواعد ، فارتبك ، وهو يتابع :

ـ معذرة يا سيادة القائد الأعلى .. لقد أربكنا الأمر نحن أيضًا ، وتصوَّرنا أننا قد وقعنا فى خطأ ما ، فأعدنا الرصد ثلاث مرات متتالية ، وتوخينا منتهى الدقة ، وقمنا برصد وجه السيِّد (أمجد) أيضًا ، ولكننا حصلنا على النتيجة نفسها ، بالنسبة للشبح .

تبادل الرجال الأربعة نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يغمغم الرئيس فى شحوب :

ـ مستحيل !

تنهَّد الرائد (هيثم) مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ الملامح ليست متطابقة تمامًا ، كما أكَّد الكمبيوتر ، ولكن التشابه كبير إلى درجة مدهشة ، مما جعلنا نراجع ملف السيِّد (أمجد) ، وخاصة بعدما راجعنا تلك الكلمات القليلة للغاية ، التى تبادلها مع الشبح ، والتى أوحت لنا بمعرفته إياه ، و ...

توقف بغتة ، وبدا عليه التردُّد والتوتر ، فقال القائد الأعلى يستحثه :

ـ وماذا يا رجل ؟!

تردَّد الرائد (هيثم) لحظة أخرى ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ ولكن النتيجة الوحيدة ، التى حصلنا عليها ، لم تكن مقنعة تمامًا .

سأله الدكتور (جلال) هذه المرة :

ـ وما هى ؟!

التقط الرائد (هيثم) نفسًا عميقًا آخر ، قبل أن يجيب فى حزم :

- إن هـذا الشبح ينتمى إلى الشخص الوحيد مـن نسله .

وصمت لحظـة ، انتبهت خلالهـا آذان وعقـول الجميع ، قبل أن يضيف هو :

- ابنه .

وكان الجواب مفاجئًا ..

بحق ..

* * *

« ما الذى يمكن أن نفعله بالضبط ؟! »

ألقت (نشـوى) سؤالها فـى توتـر شـديد ، وهـى تتطلع إلى (طارق) ، الذى انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حزم :

- وفقًا لما لدى ، لم يعد متبقيًا سوانا .. أنت وأنا .

هتفت مذعورة :

- رباه ! وماذا عن الباقين ؟! ماذا عن أبى ، وأمى ، وزوجى ، و(أكرم) ؟!

تنهَّد فى عمق ، قائلاً :

- الجميع أسرى لهؤلاء الأوغاد الآن .

سألته فى ارتياع :

- أسرى أم ..

قاطعها فى حزم :

- أسرى ياسيِّدة (نشـوى) .. إنهـم لايقتلـون أسراهم قبل أن يحسموا أمرهم ، ويربحون معـاركهم تمامًا ؛ حتى يمكنهم استغلالهم كوسيلة للضغط ، إذا ما احتاجوا إلى هذا .

أمسكت يده فى قوة ، قائلة :

- لا بد أن نحرِّرهم جميعًا يا (طارق) .. لابد .

هزَّ رأسه ، قائلاً فى أسف :

- المشكلة أننى لا أعلم أين هم .

ولوَّح بذراعه ، مستطردًا فى مرارة متوترة :

- لا أحد يعلم ، أين يحتفظون بأسراهم .

قالت فى توتر شديد :

- ولكن هؤلاء الأربعة بالذات ، يمثلون ضغطًا فعليًا علينا ، ووجودهم فى قبضة هؤلاء الأشرار يُضعف من قدرتنا على القتال بالتأكيد .

صمت لحظة ، قبل أن يقول فى توتر :

- الأمر لا يقتصر على أربعتهم يا (نشوى) .

هتفت :

- أعلم أنه هناك عشرات من بحارة الغوَّاصة ، والمدمرة ، و ...

تابع ، وكأنها لم تقاطعه :

- لقد أسروا (مشيرة) أيضًا .

حدَّقت فيه بذعر هاتفة :

- يا إلهى (مشيرة) ؟!

تابع :

- والسيِّد (أمجد صبحى) أيضًا .

شهقت فى ارتياع ، فشرد ببصره ، مغمغمًا :

- وأظنهم سيتمادون أكثر ، فى هذه المرة .

امتقع وجهها ، وهى تسأله فى هلع :

- إلى أى مدى ؟!

صمت بضع لحظات فى شرود ، قبل أن يهز رأسه فى بطء ، مغمغمًا :

- اللَّه (سبحانه وتعالى) وحده أعلم .

امتقع وجهها أكثر ، وهى تهتف :

يا إلهى ! يا إلهى ! لا بد أن نفعل شيئًا يا (طارق) .. لا بد أن نفعل شيئًا .

تنهّد ، وابتسم محاولاً تهدئة انفعالها ، وهو يقول :

- أنا هنا لهذا السبب بالتحديد .

قالت فى انفعال :

- لقد أتيت بآلة زمن .. أليس كذلك ؟!

ابتسم أكثر ، مجيبًا :

- وكيف يمكننى العودة بدونها ؟!

هتفت :

- عظيم .. دعنا نعد إذن إلى تلك اللحظات ، التى تسبق وصولهم ، و ...

قاطعها فى أسف :

- لا يمكننا هذا .

هتفت فى عصبية :

- ولماذا ؟! إننا نستطيع بهذا منع الأمر منذ بدايته .

تنهّد مرة أخرى، قبل أن يقول :

- هذا أوّل ما جال بخاطرى ، عندما بدأت هذه المهمة ، وأوّل ما حاولت تنفيذه ، عندما انطلقت بآلة الزمن الجديدة ، ولكننى فوجئت بأن هذا أوّل ما جال بذهن خصومنا أيضًا ؛ لذا فقد استخدموا تكنولوجيتهم ، لمنع حدوث هذا .

سألته بصوت شاحب مبحوح :

- وكيف يمكنهم هذا ؟!

أجابها فى مرارة :

- بتعكير مجرى الزمن .

هتفت :

- ماذا ؟!

تنهّد مرة أخرى ، وهو يقول :

- إنه أمر أشبه بما يحدث لسطح من الماء الهادئ ، عندما تلقين فيه بحصاة ، فتصنع حول نقطة سقوطها مجموعة من الدوائر المتموّجة ، التى تتسع على

نحو مطرد ، من مركز تكونها .. هذا نفس ما فعلوه بمجرى الزمن .. استخدموا موجة خاصة ، لم تُعرف فى زمنكم بعد ، أطلقوها من منطقة وصولهم ، بحيث أحدثت تلك التموجات فى مجرى الزمن ، على نحو جعل الوصول إلى ما قبل نقطة هبوطهم أمرًا مستحيلا .. بل وحتى الوصول إلى هنا ، كان مغامرة عنيفة ، غير مأمونة العواقب ، حتى إننى قد قمت بثلاث محاولات فاشلة ، قبل أن أنجح فى الوصول بمعجزة ، إلى هذه النقطة .

وصمت لحظة ، قبل أن يتابع فى مرارة :

ـ وأخشى ، لو قمت بمحاولة أخرى ؛ للاقتراب أكثر من نقطة وصولهم ، أن أضلّ طريقى فى مجرى الزمن ، وتضيع الفرصة الأخيرة ، لإنقاذ العالم من هذا الغزو الزمنى الرهيب .

بدا عليها الانهيار ، وهى تقول :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!

أمسك كتفيها فجأة ، وتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ سنفكّر معًا .. زمنى كله يعرف عبقريتك النادرة ، وذكاؤك الخارق مضرب للأمثال ، بين كل بنى جيلى ، وتاريخ العلم يؤكّد أنك أعظم خبيرة كمبيوتر ، فى القرن الحادى والعشرين كله ، ومن المؤكّد أن عبقريتك ، وما لدى من معلومات ، سيجدان حلاً لهذا الموقف .. المهم أن تؤمنى بهذا ..

لم تدر لماذا سرت فى جسدها كله قشعريرة عجيبة ، وهى تتطلّع إلى عينيه ، اللتين بدتا لها ، باتساعهما وعمقهما ، أشبه بعينين تعرفهما جيدًا ، على نحو جعلها تتمتم ، فى استسلام عجيب :

ـ سأفعل كل ما بوسعى .

ترك كتفيها فجأة ، وهو يهتف بحماسة :

ـ عظيم .

ثم التقط من جيب سترته أسطوانة مدمجة ، تشبه تلك المستخدمة فى زمنها ، وهو يتابع :

- هنا ستجدين كل ما لدى من معلومات ، حول هؤلاء الأوغاد ، وما يمتلكونه من تكنولوجيا .. لقد خزنتها على الأسطوانة بنظام يتوافق مع نظام الكمبيوتر فى زمنك .. هيا .. دعينا نبدأ حربنا على الفور .

اختطفت الأسطوانة من يده ، واستدارت تدسّها فى الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تضرب أزراره فى حماسة ..

وراحت المعلومات تتراصّ على شاشة الجهاز ..

وتتراص ..

وتتراص ..

وكان هذا إيذانًا ببدء الحرب الجديدة ..

حرب الأشباح ..

الطاحنة .

* * *

٣ - منطقة الضياع ..

انطلقت طوّافة عسكرية خاصة ، من القاعدة البحرية المصرية ، فى (رأس التين) ، حاملة الرائد (هيثم) وفريقه العلمى الصغير ، فى طريقهما إلى تلك المنطقة ، التى غرقت فيها (ب . ن - ١٠٣) ، منذ بضع ساعات ، والتى تستقر فيها الآن المدمرة (فجر) ، فى شكلها الشبحى العجيب ..

وداخل الطوّافة ، غمغم خبير الأشعة :

- لا يمكننى تصديق هذا أبدًا .. هل تقول : إن فريق المقدم (نور) قد أبيد بأكمله ، فى هذه العملية ؟!

هزّ (هيثم) رأسه ، وهو يجيب فى حزم :

- لم أستخدم هذا المصطلح أبدًا .

اندفعت خبيرة الصوتيات ، تقول فى انفعال :

- ولكن هذا هو المعنى ، الذى استقرّ فى نفوسنا ، عندما قلت إن ضوءًا غامضًا قد ابتلعهم جميعًا .

أشار (هيثم) بسبّابته ، قائلاً :

ـ الموقف كله مازال غامضًا ، حتى هذه اللحظة ، ولهذا أرسلونا ، فى محاولة لكشف غموض الأمر .

هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ أرسلونا نحن ؛ لنحلّ لغزًا ، فشل فيه فريق المقدّم (نور) ؟! مستحيل !

وهتف خبير الأشعة :

ـ إنه أشهر وأقوى فريق فى الإدارة .

انعقد حاجبا (هيثم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ فى عالمنا ، لايوجد مستحيل ! ربما نجحنا نحن فيما فشل فيه الكبار .. من يدرى ؟!

تبادل خبير الأشعة نظرة صامتة، مع خبيرة الصوتيات ، قبل أن تغمغم الأخيرة فى لهجة ، لم تنجح فى إقناعها هى :

ـ نعم .. من يدرى ؟!

لاذ ثلاثتهم بالصمت ، وانشغل الخبيران فى إعداد أجهزتهما للعمل ، والطوّافة تشق طريقها وسط ظلام الليل ، حتى موقع الحادث ..

وأخيرًا ، انبعث صوت قائد الطوّافة ، وهو يقول :

ـ نحن فى منطقة العمل .

قالها ، وهو يبدأ فى الدوران حول شبح المدمرة (فجر) ، والغوّاصة المتصلة به ..

وفى سرعة ، راح الخبيران يشعلان جهازيهما ، لرصد كل مايمكن رصده عن قربٍ ، فى حين انعقد حاجبا الرائد (هيثم) ، وهو يتطلع إلى ذلك المشهد الرهيب العجيب ، والطوّافة تدور حول المكان ، وفقًا للأوامر ..

وتدور ..

وتدور ..

وبسرعة ، جرت أصابع الخبيرين ، على أزرار أجهزتهما ، قبل أن يغمغم خبير الأشعة فى توتر :

- الشىء المؤكد أنها ليست صورة هولوجرامية .

وقالت خبيرة الأصوات فى سرعة :

- ولكنها صامتة تمامًا .. لاتنبعث منهـا أيـة أصوات ، أو حتى موجات فوق أو تحت صوتية .

ثم أدارت عينيها إلى (هيثم) ، متابعة فى توتر :

- بمعنى أدق ، لايوجد عليها أدنى أثر للحياة .

غمغم فى قلق :

- ربما فقد طاقمها وعيه ، أو ...

قاطعته فى حسم :

- جهازى قادر على التقاط دبيب النمل ، ودقات قلوب فاقدى الوعى ، مهما انخفضت سرعة نبضاتهم .

هزّ (هيثم) رأسه ، قائلاً :

- أين ذهب الطاقم إذن ؟!

تمتم خبير الأشعة ، وهو يراجع نتائج جهـازه فى اهتمام :

- هذا ما أتينا للبحث عنه ، و ...

بتر عبارته بغتة ، فسأله (هيثم) فى توتر :

- هل من جديد ؟!

انعقد حاجبا خبير الأشعة ، وهو يقول :

- جهازى يلتقط انبعاثًا إشعاعيًا متصاعدًا .

هتفت خبيرة الصوتيات :

- جهازى أيضًا يلتقط ذبذبة فوق صوتية ، ولكن ....

هتف بها (هيثم) :

- ولكن ماذا ؟! أكملى !

هزّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- إنها تأتى من أعماق البحر .. من عمق ألف متر تقريبًا .

بدا خبير الأشعة شديد التوتر ، وهو يهتف :

- الأشعة تتصاعد شدتها بسرعة عجيبة .

هتف به (هيثم) :

ـ من أين تأتى ؟!

استدار إليه بحركة حادة ، مجيبًا بعينين زائغتين :

ـ من الأعماق .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتجّت الطوّافة فى عنف ، وهتف قائدها :

ـ رباه ! المحركات ارتبكت بغتة .

اتسعت عينا (هيثم) ، وخبيرة الصوتيات تهتف :

ـ الذبذبة فوق الصوتيه تجاوزت حدود جهازى .. يا إلهى ! لا توجد فى الكون كله ذبذبة تفوق الر ...

ارتجّت الطوّافة مرة أخرى ، فى عنف أكبر ، وهتف قائدها :

ـ لا بد أن نبتعد عن هذا المكان ، وإلا فقدت سيطرتى على هذه الطوّافة تمامًا ..

هتف (هيثم) فى عصبية :

ـ لا يمكن أن ننسحب بهذه السرعة .

صاح قائد الطوّافة ، وهو يدفع عصا القيادة فى حزم :

ـ سنخرج من هنا .. فورًا .

دارت مراوح الطوّافة بأقصى طاقتها ، فى محاولة لتجاوز تلك المنطقة ..

ولكن فجأة ، تضاعف الانبعاث الإشعاعى عشر مرات دفعة واحدة ، وصرخت خبيرة الصوتيات :

ـ لا .. مستحيل ! مستحيل !

مع صرختها ، تحطّم زجاج الطوّافة كله دفعة واحدة ، وصاح الطيّار :

ـ إننا لا نتحرك .. المحركات تعمل بأقصى طاقتها ، ولكننا ثابتون فى مكاننا .. هناك شىء يسيطر علينا ، ولا يمكننا الفكاك منه قط .

صرخت خبيرة الصوتيات :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما خبير الأشعة ، فقد حدَق فى شاشة جهازه ، فى ذهول مذعور ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

مع آخر حروف كلماته ، سطع ضوء قوى فجأة ، من أسفل المدمرة (فجر) ، واخترق جسمها الشبحى نصف الشفاف ، ليغمر الطوَّافة كلها ، على نحو جعل خبيرة الصوتيات تطلق صرخة رعب هائلة ، فى حين راح جسد خبير الأشعة يرتجف فى قوة ، وسحب (هيثم) مسدسه على نحو غريزى ، أما الطيَّار ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، والهواء البارد العنيف يرتطم بوجهه ، ويكاد يجمِّد أطرافه ، و ...

وفجاة ، انسحبت الطوَّافة نحو المدمرة (فجر) ..

وبسرعة مخيفة ..

وصرخ الطيَّار :

ـ لا .. لا .. مستحيل !

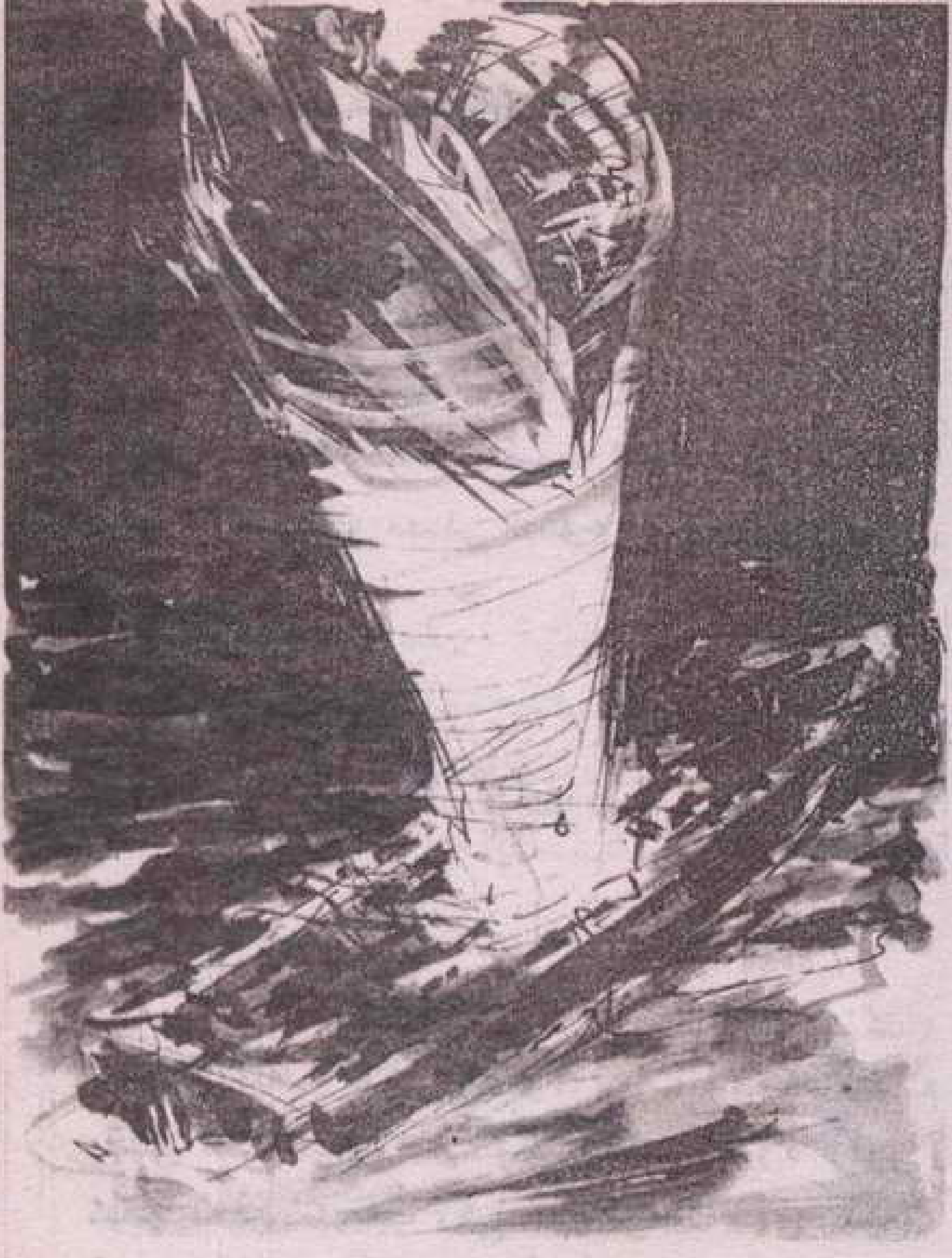

مع آخر حروف كلماته ، سطع ضوء قوى فجأة ، من أسفل المدمرة (فجر) ، واخترق جسمها الشبحى نصف الشفاف ، ليغمر الطوَّافة كلها ..

[م ٥ ـ ملف المستقبل عدد (١٣٩) حزب الأشباح]

ومع صرخته ، اخترقت الطوّافة جسم المدمرة الشبحى ..

ثم ارتطمت بمياه البحر ..

وبمنتهى العنف ..

وفى لحظة واحدة ، غمرت المياه الطوّافة كلها ، وهى تغوص نحو مصدر الضوء القوى المبهر ..

وتغوص ..

وتغوص ..

ثم فجأة ، ومض ضوء أكثر قوة ..

وخبا ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، تلاشى الضوء تمامًا ، وعاد الظلام يطبق على المكان كله ، واستعادت المدمرة (فجر) كيانها المادى تدريجيًا ، فى نفس الوقت الذى تحرّرت فيه الطوّافة الغارقة من قوة الجذب ، وراحت تصعد

إلى السطح ، حتى ارتطمت بجسم المدمرة ، وانزلقت جانبها خالية ..

دون أثر للرائد (هيثم) أو الطيار ، أو الخبيرين ..

أدنى أثر ..

★ ★ ★

« التشابه مذهل بحق !! » ..

غمغم الرئيس بالعبارة ، وهو ينقل بصره بين صورة (أمجد) ، والملامح التى صنعها جهاز فريق الرائد (هيثم) ، لملامح ذلك الشبح ، قبل أن يُطلق من أعماق صدره زفرة ملتهبة ، مستطردًا :

- أمر لايُصدَّق .

أشار مدير المخابرات بيده ، قائلاً :

- لقد راجعت ذلك الملف ، الخاص بابن السيِّد (أمجد) ، الذى أنجبه من تلك الإسرائيلية ، والذى عثر عليه بعد مصرعها بعدة سنوات ، ثم فقده مرة أخرى .

تمتم الرئيس فى أسف :

ـ بل قل : خسره تمامًا .

صمت مدير المخابرات لحظة ، وكأنما توقَّع أن يستطرد الرئيس ، ثم لم يلبث أن تابع ، عندما أدرك أن تعليقه قد اقتصر على هذا :

ـ ذلك الابن انغمس حتى النخاع ، فيما أهَّلته له أمه ، وأصبح إسرائيليًا صهيونيًّا ، قلبًا وقالبًا ، وتزعَّم منظمة صهيونيةً متطرِّفة ، بعد الانهيار ، الذى أصاب (إسرائيل) ؛ إثر تجاوزات رئيس وزرائها الدموى السابق .

مطَّ الرئيس شفتيه ، وهزَّ رأسه فى مرارة ، مغمغمًا :

ـ هذه مأساة زواج مصرى من إسرائيلية !

رفع مدير المخابرات عينيه إليه ، وقال :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكن السيِّد (أمجد) تزوَّج تلك الإسرائيلية فى ظروف غير طبيعية ، وأيامها لم يكن يدرك حتى إنها إسرائيلية .

أومأ الرئيس برأسه ، مغمغمًا :

ـ أعلم هذا يا رجل .. أعلم هذا .. ولكن حتى فى هذه الظروف ، كان الأبناء هم الضحية ، كما توقَّع خبراؤنا ، فى نهايات القرن العشرين ، عندما أدركوا خطورة الزواج من إسرائيليات ، فالقانون المصرى يمنح الجنسية لأبناء المصرى ، والقانون الإسرائيلى كان يمنح الجنسية لأبناء الإسرائيليات ، ثم إن الأم هى الأكثر تأثيرًا فى تربية وتوجيه وتنشئة الأبناء ، بحكم اقترابها منهم أكثر وأطول .

قال القائد الأعلى :

ـ لقد عانينا طويلاً من نتائج هذه المأساة .

وافقه الرئيس بإيماءة أخرى من رأسه ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ قدَّر اللَّه (سبحانه وتعالى) ، وما شاء فعل .

انتظر مدير المخابرات لحظة ، بعد انتهاء عبارة الرئيس ، ثم قال متابعًا :

- ولقد اختفى ذلك الابن لسنوات طوال ، عندما تحولّ نشاط منظمته الصهيونية(*) إلى العنف ، والاغتيالات ، وقتل الأبرياء بغير ذنب ، وقيل إنه قد أنشأ منظمة صهيونية سرية أخرى ، منذ عامين أو ثلاثة .

أشار القائد الأعلى إلى الصورة ، التى صنعها جهاز الرصد الحرارى ، وقال :

- ما نراه أمامنا صورة لرجل فى أوائل الخمسينات من عمره على الأقل ، وابن السيِّد (أمجد) فى منتصف الثلاثينات .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، وقال فى حزم :

- إنها مجرَّد ملامح تقريبية ، مأخوذة عن توزيع

(*) الصهيونية : حركة سياسية ، قصدت إلى قيام دولة يهودية ؛ لتكون وطنًا قوميًا لليهود ، ولقد تزعمها (تيودور هرتزل) ، الذى دعا لقيام المؤتمر الصهيونى الأوَّل ، فى (بازل) بـ (سويسرا) ، وبعدها تكوَّنت منظمات صهيونية فى البلاد التى تضمّ عددًا كافيًا من اليهود ، واعتبرت (فلسطين) هى الدولة المناسبة لبدء دولة (إسرائيل) ، التى ينبغى أن تمتدّ ، من الفرات إلى النيل ، وفقًا لمبادئهم .

الظلّ الحرارى للوجه ، من أثر قديم ، ولكننى أعتقد أننا ، لو وضعنا فى الاعتبار ذلك التطوّر الطبى ، فى وسائل الاستشفاء والعلاج ، وأثره على صحة الإنسان ، الآن وفى المستقبل ، فأعتقد أننا نتطلّع إلى رجل ، فى أوائل الستينات من عمره تقريبًا .

التفت إليه الرئيس ، يسأله فى اهتمام :

- وما الذى يجعلك متأكدًا هكذا ؟!

تنهَّد ، قائلاً :

- لأننا نواجه خصمًا مستقبليًا .

ثم نهض من مقعده ، وأشار بيده إلى الصورة ، المعروضة على شاشة كبيرة ، مستطردًا فى حزم :

- وهذا ما سيبدو عليه ابن السيِّد (أمجد) ، فى المستقبل ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ليضيف :

- مستقبلنا .

التقى حاجبا الرئيس فى شدة ، فى حين تساءل القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى اهتمام :

- إذن فأنت تؤيِّد نظرية المستقبليين الآن .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنها تبدو لى أكثر نظرية مقبولة ، فى ظل ما يتبيَّن .

شدَّ القائد الأعلى قامته ، وهو يقول :

- إذن فالسيِّدة (نشوى) كانت على حق .

أكَّد الدكتور (جلال) فى حزم :

- ومنذ البداية .

نقل الرئيس بصره بينهما لحظة ، قبل أن يقول فى حزم حاسم :

- أرسلوا فى طلبها فورًا .. أريد التحدُّث إليها شخصيًّا .

التقى حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يلقى نظرة قلقة على ساعته ، قائلاً :

- كان المفترض أن تكون هنا بالفعل ، منذ ما يقرب من نصف الساعة .

التفت إليه القائد الأعلى بحركة حادة ، قائلاً :

- رباه ! هل تعتقد أن ..

التقط الدكتور (جلال) جهاز الاتصال ، وهو يقول :

- دعنا لا نستبق الأحداث يا سيِّدى .. سنجرى اتصالنا بها أوَّلاً ، ثم ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، وقبل أن يضغط أزرار جهاز الاتصال فعليًّا ، ارتفع أزيز جهاز التقارير العاجله ، وبرزت منه ورقة صغيرة ، اختطفها القائد الأعلى فى سرعة ، والتهم سطورها القليلة فى لحظة ، قبل أن يمتقع وجهه ، وهو يرفع عينيه إليهم ، قائلاً :

- طوَّافة فريق الرائد (هيثم) سقطت فى الفخ نفسه .

انتقل امتقاعه إلى الرجال الثلاثة ، والرئيس يتساءل فى توتر :

- ثم ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وأجاب :

- لا أثر لهم .

قالها ، فران على القاعة الصغيرة صمت مطبق رهيب ، تبادل خلاله الرجال الثلاثة نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يضغط الدكتور (جلال) أزرار جهاز الاتصال فى عصبية ، قائلاً :

- لابد من استدعاء (نشوى) .. فورًا .

التقط مدير المخابرات نفسًا عميقًا ، قبل أن يتجه ببصره إلى الرئيس ، قائلاً :

- سيادة الرئيس .. لو أردت رأيى ، فأفضل حل مطروح الآن ، هو ما اقترحه الملحق العسكرى الروسى .

سأله الرئيس ، فى شىء من الحذر :

- وما هو ؟!

أجابه فى حزم :

- سحق المنطقة بأكملها .

انعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، وقال القائد الأعلى فى توتر :

- هل تعلم ما يعنيه هذا ؟!

أجابه فى حزم أكثر :

- نعم .. يعنى أن نغلق الباب الرئيسى لهذه المأساة ، التى تتصاعد فى سرعة ، وتتزايد فصولها الرهيبة ، فى كل دقيقة تمضى .

ثم عاد يلتفت إلى الرئيس ، قائلاً :

- صدقنى يا سيادة الرئيس .. إنها حرب .. حرب مع أشباح مستقبلية ، لا ندرى كيف نواجهها ، أو نتغلب عليها .. حرب تأتى كلها من بؤرة واحدة ، فى قلب البحر .

ومال بجسده كله نحو الرئيس ، مضيفًا فى انفعال :

- والخطوة الأولى ، لربح حرب رهيبة كهذه ، هو سحق مركز وصول العدو .. ودون إبطاء .

التقط الرئيس نفسًا عميقًا ، وارتسم على وجهه

توتر ملحوظ ، يشفَ عن تلك العاصفة التى تعتمل فى نفسه ، لاتخاذ قرار حاسم فى هذا الشأن ، و ...

« لن يمكنكم أن تصدقوا هذا !! » ..

هتف الدكتور (جلال) بالعبارة فى انفعال ، وهو ينهى اتصاله مع (نشوى) ، قبل أن يندفع نحو الباقين ، متابعًا :

ـ لقد عاد (طارق) .

هتف القائد الأعلى :

ـ حقًا ؟! يا إلهى ! هذا يعنى الكثير .. الكثير جدًا .

انعقد حاجبا مدير المخابرات فى شدة ، فى حين تساءل الرئيس ، فى شىء من العصبية :

ـ من (طارق) هذا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى حماسة :

ـ (طارق) مقاتل مستقبلى ، من نسل المقدَم (نور) ، شارك الفريق يومًا بعض مهامه ، وعودته مرة أخرى إلى زمننا تعنى أن نظرية (نشوى) عن المستقبليين صحيحة تمامًا .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـ هل سيحضر معها ؟!

وأمأ الدكتور برأسه إيجابًا ، فاندفع القائد الأعلى نحو جهاز الاتصال ، قائلاً فى حزم :

ـ ينبغى أن نعدَ كل شىء لاستقباله إذن ؛ فمن المؤكد أن ما لديه من معلومات مستقبلية ، عن خصومنا المستقبليين ، ستصنع فارقًا ضخمًا ، فى هذه الحرب ، و ...

فجأة ، وقبل أن يتمَ عبارته ، انطلقت صفارات الإنذار فى المكان كله ، فامتقع وجه الدكتور (جلال) ، وهو يتلفت حوله ، هاتفًا فى ارتياع :

ـ هناك دخلاء .

سحب مدير المخابرات مسدسه ، فى حركة غريزية ، واندفع نحو الرئيس ، هاتفًا فى غضب :

ـ المفترض أنكم تحيطون أنفسكم بوسائل أمن كافية .

هتف القائد الأعلى ، وهو يسحب مسدسه بدوره ، ويضغط عدة أزرار على سطح مائدة الاجتماعات :

ـ ليس ضد أشباح .

أضيئت شاشات الرصد كلها ، فى حجرة الاجتماعات الصغيرة ، وراحت تنقل صورة لأشباح تخترق مبنى المخابرات العلمية ، من قطاعات عديدة ، وقتال عنيف يائس ، يدور بينها وبين رجال أمن المبنى ..

كانت رصاصات الحرّاس ، وأشعة مسدساتهم الليزرية ، تعبر كلها الأجساد الشبحية ، دون أن تمسّها بأدنى أذى ، فى حين كانت أسلحة الأشباح تطلق نحوهم فقاعات زرقاء ، ما إن ترتطم بأجسادهم ، حتى تنتفض فى عنف ، كما لو أن صاعقة قد أصابتها ..

ثم يسقط الرجال فاقدى الوعى ..

وبكل عصبية ، أمام ذلك الخطر الرهيب ، هتف مدير المخابرات ، وهو يحمى الرئيس بجسده ، ويلوّح بمسدسه :

ـ هناك حتمًا خطة طوارئ .

أجابه القائد الأعلى فى حزم ، وهو يضغط زرًا آخر ، على سطح مائدته :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولقد بدأ تنفيذها بالفعل .

مع قوله ، انخفضت الإضاءة داخل قاعة الاجتماعات الصغيرة ، بحيث أصبحت تعتمد فقط على ما يصدر عن شاشات الرصد ..

وفى هدوء ، ودون أدنى صوت ، هبطت ألواح من مادة (التيتانيوم) على بابى القاعة ، التى بدأت تهبط فى نعومة ، والقائد الأعلى يقول :

ـ من الخارج ، لم يعد هناك الآن أى أثر يوحى بوجود قاعة ما فى هذا المكان ، والآن تم عزلنا عن العالم الخارجى ، والقاعة ستهبط كاملة ، لتستقر فى

طابق سرى خاص ، وفوقها ستمتدَ أرضية احتياطية ، بحيث يستحيل تخيُل وجودنا داخل المبنى بأى حال من الأحوال .

ثم ضغط زرًا آخر ، فانكشف جزء من جدار القاعة ، وبرز خلفه مخزن خاص ، والقائد الأعلى يتابع :

- والقاعة مجهَّزة بحيث تؤمّن الحماية والمعايشة لستة من الرجال ، لمدة ثلاثة أسابيع ، والتهوية فيها مناسبة .

توقَّف عن التتابع ، والتقى حاجباه فى توتر ملحوظ ، وهو يراقب الشاشات ، التى تنقل انهيارًا شبه شامل لنظام أمن وتأمين المبنى ، مع تقدُّم الأشباح السريع ، وتساقط رجال أمن المبنى ، الذى فقدت أسلحتهم جدواها ..

وفى مرارة متوترة ، غمغم الدكتور (جلال) :

- رباه ! إنه غزو من نوع آخر .. غزو لا نملك وسيلة واحدة للتصدى له .

ثم أسرع يضغط أزرار جهاز الاتصال ، مستطردًا فى عصبية :

- ربما لدى (طارق) وسيلة مستقبلية لـ ...

وثب القائد الأعلى يمسك معصمه فى قوة ، ويختطف جهاز الاتصال من يده ، هاتفًا :

- إياك أن تفعلها !

بدت دهشة مستنكرة على وجه الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

- ولمَ لا ؟! ربما كانت هذه وسيلتنا الوحيدة ، لإنقاذ ما يمكن انقاذه !!

صاح به القائد الأعلى فى غضب :

- مع خصوم كهؤلاء ، يكفى اتصال واحد من هنا ، لتحديد ورصد موقعنا ، الذى نسعى بكل السبل لإخفائه .

شحب وجه الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

- يا إلهى ! هذا صحيح .

ثم انهار على أقرب مقعد إليه ، وهو يواصل :

- هذا يعنى أنه لم يعد أمامنا أمل فى النجاة .

زمجر مدير المخابرات ، وهو يهتف :

- المفترض أن الأمل يكمن هنا .

استدار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

- هذا صحيح .

والتقى حاجباه بمنتهى الشدة ، وهو يضيف :

- لا أحد فى الوجود يعلم بأمر هذا المكان .

« فى زمنكم هذا فحسب .. »

انبعث الصوت من خلفهم تمامًا ، داخل القاعة الصغيرة ، فى صرامة وحشية شرسة ، فاستداروا إلى مصدره ، وتوترت كل خلية من خلاياهم ، وهم يحدّقون فى ذلك الشبح ، الذى عبر جدار القاعة ، حاملاً سلاحه العجيب ، ومتطلّعًا إليهم ، بكل مقت الدنيا ..

شبح ابنه ..

ابن (أمجد صبحى) .

* * *

٤ـ الغزاة ..

شىء عنيف انتزع الرائد (هيثم) من مكانه ..

وأضواء قوية تألَّقت فى وجهه ..

ألف لون ولون من الأضواء ، من كل الاتجاهات ، وجسده ينهار عبر ممر ضوئى طويل ، يدور حول نفسه ، وكأنه لا نهاية له ..

ولزمن لم يدركه أبدًا ، راح جسده يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

ثم سطع ضوء قوى ..

وخبا دفعة واحدة ، ليسود ظلام تام ..

ظلام دامس رهيب ، أحاط به من كل صوب ، وجسده يتموَّج فى نعومة ، كما لو أنه يسبح فوق بحر من المخمل الناعم الكثيف ..

ولكنه لم يشعر بملمس أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

كان وكأنه يسبح فى فراغ ..

فراغ بلا حدود ..

أو نهاية ..

ثم عاد جسده ينزلق مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان انزلاقه هادئًا ، ناعمًا ، وسط ذلك الفراغ المظلم العجيب ..

ومن بعيد تناهت إلى مسامعه أصوات ..

أصوات متداخلة غير مميَّزة ..

وبسرعة ، راحت تلك الأصوات تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم فجأة ، سطع ضوء قوى آخر ..

وارتطم جسده بشىء ما ..

شىء له ملمس عجيب ، غريب ، يبعث قشعريرة باردة فى أعماقه ..

وعندما هدأ الضوء ، فتح هو عينيه فى بطء وحذر ..

ولكن ما إن وقعت عيناه على ما حوله ، حتى اتسعتا عن آخرهما ، بكل دهشة وتوتر الدنيا ..

فعلى مقربة منه ، وجد خبيرة الصوتيات ، والذعر يملأ كل ذرة من كيانها ..

وعلى مسافة بعيدة نسبيًّا ، كان خبير الأشعة ينهض ، ويدور حول نفسه فى ارتياع واضح ، وإلى جواره قائد الطوَّافة ، الذى جلس متسع العينين ، يحدِّق فيما حوله فى ذهول ..

أما فيما عداهم ، فلم يكن هناك شىء ..

على الإطلاق ..

فقط فراغ هائل ، فى كل الاتجاهات ..

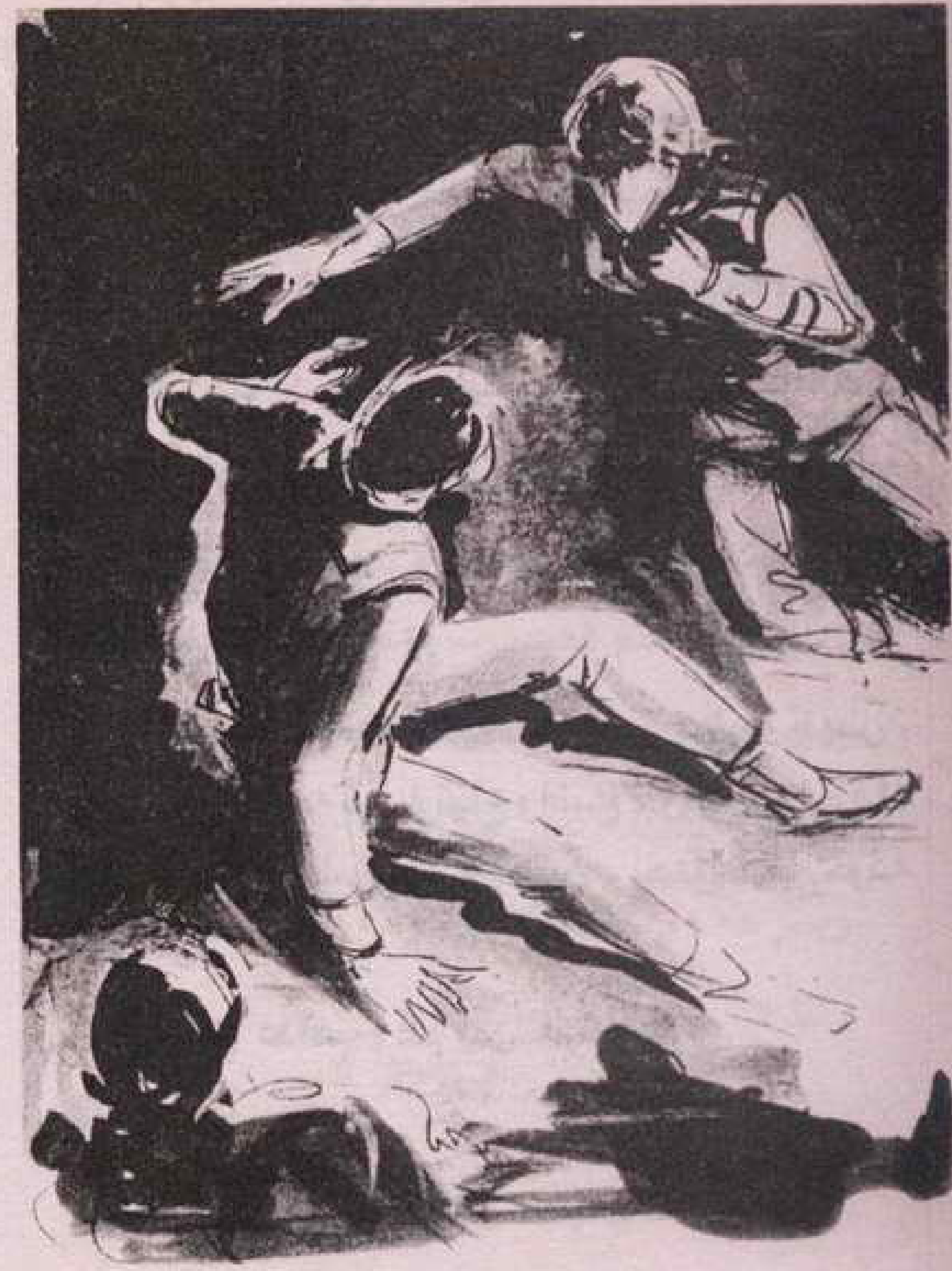

فعلى مقربة منه ، وجد خبيرة الصوتيات ، والذعر يملأ كل ذرة من كيانها ..

فراغ تسبح فيه أجسادهم ..

شىء لا يمكن وصفه ، لأى مخلوق اعتاد العيش فى عالم طبيعى ، له حدود واضحة معروفة ..

فراغ رهيب ..

رهيب ..

بلا حدود ..

وفى رعب ماله من مثيل ، لوَّحت خبيرة الصوتيات بيدها ، صارخة :

ـ أين نحن ؟! ماذا أصابنا ؟!

بدا صوت خبير الأشعة مذعورًا شاحبًا ، وهو يقول :

ـ هل .. هل متنا ؟!

وجد (هيثم) نفسه ينهض فى سهولة ، على الرغم من أنه لم ير ما استند إليه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لست أدرى كيف يبدو الموت ، ولكنه ليس كذلك حتمًا .

ثم تلفت حوله ، وسبحت عيناه وسط ذلك الفراغ العجيب ، وهو يضيف :

ـ إننا نواجه أمرًا تعجز عقولنا عن إدراكه فحسب .

هتفت خبيرة الصوتيات ، والهلع يملأ كل ذرة من كيانها :

ـ لا يوجد فى الكون كله شىء كهذا .. إننى .. إننى لا أدرى حتى أين أقف ولا كيف !

ارتفع صوت قائد الطوّافة ، وهو يقول فى عصبية شديدة :

ـ ربما لم نمت فعليًا .

ثم نهض بحركة حادة ، مستطردًا :

ـ ولكن الموت مصيرنا حتمًا ، فى عالم كهذا .

قالها ، وراح يدور حول نفسه ، صارخًا :

ـ إنها النهاية .. النهاية .

ثم دفن وجهه بين كفيه ، مكملاً فى انهيار :

ـ ويالها من نهاية !

بدا الغضب على وجه الرائد (هيثم) ، وهو يهتف :

ـ كفى يا رجل .

دفع قدميه إلى الأمام بحركة غريزية ، وأدهشه أن يسير فى نعومة ، دون أن يدرى حتى ماتطؤه قدماه ، وهو يتجه نحو قائد الطوّافة ، مستطردًا :

ـ لا ينبغى أن تنهار هكذا .. أنت طيار مقاتل .

استدار إليه الرجل ، صائحًا :

ـ نعم أيها الرائد .. أنا طيّار مقاتل .. طيّار اعتاد مواجهة خصومه بقلب كالأسود ، وعزيمة كالحديد .. ولكننى اليوم أواجه مالا أعلمه أو أفهمه .

صاح به (هيثم) فى صرامة :

ـ هذا ليس مبررًا للانهيار .

حدَق الرجل فى وجهه بضع لحظات ، ثم أدار عينيه إلى خبيرة الصوتيات ، التى تتحرك نحوه فى حذر مذعور ، وقدماها تتحسسان طريقها الذى لا تراه ، أو تشعر به ، وازدرد لعابه فى توتر ، قبل أن يخفض عينيه ، قائلاً :

- أنت على حق .

ثم سحب مسدسه بغتة بحركة حادة ، وهو يستطرد :

- ولكننى لن أقف دون قتال .

سأله (هيثم) فى صرامة :

- وما الذى ستقاتله ؟!

أجابه ، وهو يدير مسدسه فيما حوله :

- أى شىء .. أى شىء .

وضغط زناد مسدسه الليزرى ، صائحًا :

- أى شىء .

انطلق شعاع الليزر فى الفراغ ، وبدا وكأنه سيسير فيه إلى مالا نهاية ، و ...

ولكن فجأة ، انشقَ الفراغ ..

انشقَ كما لو كان قطعة من ورق رقيق ، شقه سكين حاد ..

وعبر ذلك الشق ، برز مشهد رهيب ..

رهيب للغاية ..

وبكل ذعر الدنيا ، حدَق الأربعة فى ذلك الرأس الهائل ، ذى العينين الضخمتين ، الذى بدا بأسنانه الحادة الضخمة ، وهو يلتفت إليهم ، قبل أن تنطلق منه صرخة رهيبة ..

صرخة اختلَ معها توازن المكان كله ..

وتوازن الأربعة دفعة واحدة ..

أجسادهم كلها انتفضت فى عنف ، وشعروا وكأن قبضة هائلة قد أصابتهم فى صدورهم ورءوسهم ، وتدحرجت أجسادهم وسط ذلك الفراغ الرهيب ..

فيما عدا قائد الطوَافة ..

فلكونه أقربهم إلى الشق ، انزلق جسده نحوه ..

ثم سقط عبره ..

إلى الخارج .

ومع سقوطه ، التحم الشق مرة أخرى ..

وشعر الثلاثة بضغط هائل على آذانهم ، وبقوة تعتصر صدورهم وبطونهم ، قبل أن تهتف خبيرة الصوتيات ، ودوار عنيف يكتنف رأسها :

ـ ماذا كان هذا ؟! ماذا كان ؟!

أجابها (هيثم) ، وهو يقاوم فى صعوبة غيبوبة عنيفة ، تقاتل للسيطرة على عقله وكيانه :

ـ ديناصور .. من نوع (تيرانوساورس)(*) ..

(*) الديناصورات : زواحف برية ، كانت تعيش فى حقبة الحياة الوسطى ، وانقرضت قبل نهاية العصر الطباشيرى ، كان معظمها يتميَّز بضخامته وأشكاله المخيفة ، ومن أهم أنواعها (التيرانوساورس) ، وهو من النوع اللاحم ذى القدمين ، وطوله حوالى ١٤ مترًا ، وارتفاعه حوالى ستة أمتار ، و (البرونتوساورس) ، وهو طويل الرقبة والذيل ، من النوع المعشب نصف المائى ، وطوله أكثر من عشرين مترًا .

قال خبير الأشعة بصوت مرتجف :

ـ ولكن هذا مستحيل ! الديناصورات انقرضت ، منذ ملايين السنين .. مستحيل !

غمغم الرائد (هيثم) ، والغيبوبة تتمكَّن من كيانه أكثر وأكثر :

ـ يبدو أننا قد انتقلنا عبر الزمن بوسيلة ما .. أو ...

هتفت به خبيرة الصوتيات فى انهيار :

ـ أو ماذا ؟!

أجابها فى مرارة :

ـ أو أننا سقطنا فى فخ زمنى .. فخ لا ينتمى لأى زمن .. أى زمن على الإطلاق .

قالها ، ثم انهار كيانه كله دفعة واحدة ، وسقط فى تلك الغيبوبة العميقة ، التى أعلنت انتصارها عليه فى النهاية ..

غيبوبة عميقة ..

عميقة ..

بلا قرار ..

★ ★ ★

« تلك الأشباح احتلت مبنى المخابرات العلمية .. »

هتفت (نشوى) بالعبارة فى ارتياع ، وهى تُغلق جهاز اتصالها الخاص ، وتلتفت إلى (طارق) ، الذى يقود سيارتها ، ثم استطردت فى عصبية :

- إنهم يسيطرون على كل شىء .. وبسرعة مخيفة .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يزيد من سرعة السيارة ، إلى حد يتجاوز السرعة القانونية ، للسير داخل المدن ، قائلاً فى توتر صارم :

- هذا ما يخططون له منذ البداية .. غزو شامل من طراز جديد .. غزو للسيطرة على التاريخ نفسه .

هتفت :

- ولكن ماذا سنفعل ؟!

أجابها فى صرامة :

- سنواصل طريقنا ، إلى مبنى المخابرات العلمية .

هتفت فى مرارة :

- وما الفائدة الآن ؟! لقد سيطروا عليه تمامًا .. مدير أمن المبنى أبلغنى بهذا شخصيًا .

بدت عليه علامات التفكير بضع لحظات ، قبل أن يزيد من سرعة السيارة أكثر متسائلاً :

- وماذا عن القادة ؟!

سألته فى حذر متوتر :

- أتقصد القائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ؟!

هزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- بل كل القادة .. معلوماتى تقول : إن رئيس الجمهورية ومدير المخابرات كانا فى المبنى أيضًا .

اتسعت عيناها عن آخرهما فى ارتياع ، وهى تهتف :

ـ رئيس الجمهورية ومدير المخابرات ؟! إنها كارثة !

ثم انتبهت إلى نقطة ما ، فاستطردت فى توتر :

ـ من أين تأتى بمعلوماتك هذه ؟!

تنهَّد ، مجيبًا :

ـ بالنسبة لى ، هى ليست معلومات .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ إنها تاريخ .

سألته مبهورة :

ـ أتعنى أن التاريخ فى عصرك قد سجَّل ما يحدث لنا الآن ؟!

هزَّ رأسه ، وهو ينحرف خارج الطريق الرئيسى ، قائلاً :

ـ ليس بالمعنى الحرفى للكلمة .

سألته فى قلق شديد :

ـ ماذا تعنى ؟!

صمت طويلاً هذه المرة ، وهو يدلف بالسيارة إلى الطريق الخاص ، الذى يقود إلى مبنى المخابرات العلمية ، قبل أن يقول :

ـ السفر عبر الزمن أمر معقَّد للغاية ، وله فلسفة خاصة جدًّا ، ولقد تم كشفه بالمصادفة البحتة كما تعلمين ، ومنذ وضعه موضع التنفيذ ، أدرك الخبراء أن هذا يحتاج إلى قانون خاص ، ونظام محكم ؛ لضمان عدم العبث بالتاريخ ؛ لذا كان من الضرورى أن تنشأ دوريات أمنية خاصة ، لحماية الزمن والتاريخ ، ومن بين تلك الدوريات ، قسم خاص بمراقبة أية تموجات زمنية غير طبيعية ، فعودة شخص ما إلى الماضى ، وعبثه بأية واقعة تاريخية ، مهما بلغت بساطتها ، يعدَّ كارثة كبرى ، إذ إن التغيير الناشئ ، فى أية لحظة من الزمن ، يصنع موجة زمنية عارمة ، تكتسح أمامها كل الأحداث التالية لها ، بيد التغيير والتبديل ..

ومهمة شرطة الزمن فى مستقبلكم ، هى منع أى عابث من السفر عبر التاريخ ، ومحاولة تغيير الأحداث لصالحه ، أو لصالح الجهة التى ينتمى إليها .

سألته فى قلق :

ـ وهل هذا ممكن ؟!

أجاب فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد .. ولكن النتائج لا تكون متوقَّعة أبدًا ؛ نظرًا لأن الموجة ، الناشئة من التغيير ، تتحرَّك عشوائيًّا ، فى كل الاتجاهات ، ومن الممكن جدًّا أن تؤدّى إلى تدمير من أنشأها ، بدلاً من أن تمنحه أية مكانة أفضل ، وهذا ما رفض أولئك الأوغاد تصديقه .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ ربما لأن زعيمهم ليس من مستقبلنا .

سألته ، وقد لاح مبنى المخابرات العلمية بالفعل :

ـ من أين هو إذن ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره ، ثم أفرغه ، مجيبًا فى توتر :

ـ من زمنكم أنتم .

سألته فى ذهول :

ـ وكيف هذا ؟!

وروى لها ما لديه ..

وكانت روايته مدهشة ..

إلى أقصى حدّ !

* * *

« من أنت بالضبط ؟! »

هتف الرئيس بالسؤال ، وهو يواجه ذلك الشبح ، الذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، شديدة الشبه بابتسامة (أمجد) نفسه ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! كنت أتصوَّر أن ملامحى تكفى لكشف هويتى .

مع كلماته ، اخترقت أشباح أخرى جدران

القاعة ، وأحاطت بهم بأسلحتها العجيبة ، فى حين قال الرئيس فى عصبية :

أنت ابن (أمجد) بالفعل إذن .

انقلبت شفتا الشبح فى مقت ، وهو يقول :

ـ للأسف !

قال مدير المخابرات فى حدة :

ـ للأسف ؟! ياله من جواب ! أى مخلوق فى الدنيا يتمنى لو كان ابن بطل عظيم ، مثل (أمجد صبحى) .

قال الشبح ، فى سخرية عصبية :

ـ فلأترك لهم هذا الشرف إذن .

تطلَّع إليه الدكتور (جلال) فى توتر وصمت ، وهو يدرس ملامحه ، التى بدت أكثر شبابًا مما توقَّع بكثير ..

أما القائد الأعلى ، فقال فى توتر :

ـ كيف علمتم بأمر هذه القاعة ؟! المفترض أنها سرية تمامًا .

ابتسم الشبح مرة أخرى فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هذا ينطبق على زمنكم فحسب يا هذا ، أما فى المستقبل ، الذى جئنا منه فهذا أمر تافه ، تعرفه من خلال متحف المخابرات ، الذى تتاح زيارته للعامة ، خمسة أيام فى الأسبوع .

قال مدير المخابرات فى عصبية :

ـ إذن فالسيِّدة (نشوى) كانت على حق .. أنتم من المستقبل .

رفع الشبح أحد حاجبيه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هم فحسب .. أما أنا ، فمن هنا .

هتف القائد الأعلى :

ـ مستحيل !

اندفع الدكتور (جلال) يقول :

ـ ليس مستحيلاً على الإطلاق .. كان ينبغى أن ننتبه إلى هذا ، عندما رأينا صورته ، التى صنعها

جهاز الرصد الحرارى .. فلو أنه ابن السيِّد (أمجد) فعلاً، فمن غير المنطقى أن يتواجد بجسدين فى زمن واحد .

أدار الشبح عينيه إليه ، قائلاً :

ـ آه .. من الواضح أنه لدينا هنا عبقرى آخر .

واصل الدكتور (جلال) حديثه ، وكأنه لم يسمعه :

ـ عندما قيل إنك قد اختفيت ، لم يكن هذا اختفاءً ، وإنما كان انتقالاً عبر الزمن بوسيلة ما .. أليس كذلك ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مستحيل ! عندما اختفى لم تكن فكرة السفر عبر الزمن قد حملت قدرًا من الواقعية بعد .

أشار الشبح بسبَّابته ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. ولهذا لم أذهب أنا إليهم .

وعادت الابتسامة الساخرة إلى شفتيه ، مع استطرادته :

ـ هم أتوا إلىَّ .

ثم لوَّح بيده فى حركة مسرحية ، متابعًا :

ـ كانوا بحاجة إلى زعيم ، ولم يجدوا ، فى الفترة المتاحة لهم ، من هو أجدر منى بالزعامة .

هتف به الرئيس فى غضب :

ـ كيف أصبحت صهيونيًا إلى هذا الحد ، على الرغم من الدماء المصرية ، التى تجرى فى عروقك ؟!

هزَّ الشبح كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـ عروقى تجرى فيها دماء مصرية إسرائيلية .. لا تنس هذا أبدًا .

قال الدكتور (جلال) فى مقت :

ـ فى هذا الموقف ، تبدو لى دماءً إسرائيلية صرفة .

أدار الشبح عينيه إليه مرة أخرى ، وقال :

ـ ألم أقل لك : إنك عبقرى .

نطقها بلهجة مخيفة ، قل أن يدير فوهة سلاحه نحو الدكتور (جلال) ، مستطردًا فى شراسة :

ـ وليس هناك أفضل من عبقرى ، كفاتح للشهية .

تراجع الدكتور (جلال) ، هاتفًا :

ـ لا .. ليس ..

قبل أن يتمَ هتافه ، ضغط الشبح زناد سلاحه ، فانطلقت منه فقاعة أرجوانية ، مع ضوء ساطع ..

وتألَق جسد الدكتور (جلال) لحظة ، انقلبت خلالها سحنته ، على نحو يوحى بأنه يشعر بآلام شديدة ..

ثم اختفى كيانه كله بغتة ، أمام أعين الجميع ..

وفى هدوء ظافر ، استدار إليهم الشبح ، وهو يقول :

ـ سلاح عجيب .. أليس كذلك ؟! لقد بهرنى منذ اللحظة الأولى ، لوصولى إلى عالم المستقبل ، بكل تطوّره وتكنولوجيته .. سلاح يقرأ أفكارك ، ويختار من بين ثلاث وسائل ، وثلاث قذائف مختلفة .. رائع هو التقدُم العلمى .. أليس كذلك .

قالها ، ثم أشار بيده ، فارتفعت فوهات أسلحة الأشباح الآخرين نحو الرئيس ، والقائد الأعلى ، ومدير المخابرات ، فهتف الأوَل فى غضب :

ـ قتلنا لن يفيدك يا هذا !

رفع الشبح حاجبيه فى سخرية ، قائلاً :

ـ حقًا ؟!

ثم انطلقت من حلقه ضحكة عالية ساخرة ، قبل أن يضيف :

ـ لم أكن أدرك أبدًا أن الحرب ، مع زمن ماضٍ ، ستكون ممتعة إلى هذا الحد .. إنك تتحدَث عن مستقبل ، هو بالنسبة لنا مجرَد تاريخ أيها الرئيس .. ليس هذا فحسب ، وإنما هو واقع ، خبرناه مرتين قبل الآن .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يسأل القائد الأعلى فى عصبية واضحة :

ـ أى معنى هذا ، الذى تحمله عبارتك الأخيرة ؟!

هزَّ الشبح كتفيه ، وقال :

ـ معنى لن يدركه عقلك قط يا رجل .. معنى يحتاج إلى عبقرى ؛ لفهمه واستيعابه .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا فى مقت :

ـ ولكن يكفى أن تعلموا أن ذلك القرار ، الذى كنتم بصدد اتخاذه ، كان كفيلاً بنسف عمليتنا كلها .

سأله الرئيس ، فى حذر خافت :

ـ أى قرار تعنى ؟!

على الرغم من كيانه نصف الشفاف ، بدا تألُّق عينيه واضحًا ، وهو يقول :

ـ سحق منطقة الوصول ، بقنبلة نووية محدودة .

التقى حاجبا الرئيس فى شدة ، فى حين هتف مدير المخابرات :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .. كان ينبغى أن نتخذ القرار بأقصى سرعة .

أجابه الشبح فى سخرية :

ـ كنا سنعلم أيضًا يا هذا .

ثم رفع فوهة سلاحه نحوهم ، مستطردًا :

ـ ولم تكن النتيجة لتختلف .

أزاح مدير المخابرات رئيس الجمهورية بيده ، وهو يقول فى صرامة ، ملوِّحًا بمسدسه أمام وجهه :

ـ لن يمس أحدكم شعرة واحدة من الرئيس ، إلا على جثتى .

هزَّ الشبح كتفيه فى لا مبالاة ، قائلاً :

ـ لا بأس .. إنه اختيارك .

أدار مدير المخابرات فوهة مسدسه فى سرعة ، وأطلق النار مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن رصاصاته الثلاث اخترقت الأجساد الشبحية ، وارتطمت بجدران القاعة المعدنية قبل أن يبتسم شبح ابن السيِّد (أمجد) ، ويهزّ رأسه ، قائلاً :

- إنهم لايتعلمون أبدًا ..

وضغط زناد سلاحه ، فانطلقت منه فقاعة صفراء هذه المرة ، ارتطمت بجسد مدير المخابرات ، ودفعته جانبًا فى عنف ، ليرتطم بالجدار ، وتجحظ عيناه عن آخرهما ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وفى هدوء يحمل زهوًا واضحًا ، قال الشبح :

- والآن ..

وفى القاعة الصغيرة ، تألَّق ضوء قوى ..

ثم خبا ، تاركًا خلفه قاعة خالية ..

تمامًا .

* * *

٥ - بين الأشباح ..

همست (نشوى) ، وهى تراقب مبنى المخابرات العلمية ، عبر منظارها الخاص بالرؤية الليلية :

- المكان هادئ للغاية ، على نحو يكاد يلتهم أعصابى قلقًا .

غمغم (طارق) ، وهو يراقب المكان بمنظار مماثل :

- ما يقلقنى أكثر ، هو أن مبنى الحراسة خالٍ تمامًا ، فى هذا الوقت المتأخر .

ضغط زرًا فى منظاره ، فاقتربت الصورة أكثر ، وبدا مبنى الحراسة ، فى واجهة مبنى المخابرات العلمية ، وهو خال من رجال الأمن تمامًا ، فغمغم (طارق) :

- آه .. لقد ربحوا هذه الجولة أيضًا .

فهمت (نشوى) ما يعنيه على الفور ، فغمغمت فى ارتياع :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أمسك يدها بغتة فى قوة ، فانتفض جسدها ، وهى تقول :

- ماذا هناك .

أشار بيده إلى المبنى ، قائلاً فى انفعال :

- الأشباح .

ضغطت زر منظارها بدورها ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتطلع إلى شبح يعبر بوابة الأمن ، وهو يحمل سلاحه ، ثم يتلفت حوله فى اهتمام ، قبل أن يقف أمام كمبيوتر مبنى الأمن ، فتمتمت بصوت مرتجف :

- أهكذا تبدو الأشباح ؟!

ضغط كتفها فى رفق ، وهو يتابع ما يفعله الشبح فى اهتمام بالغ ، دون أن يُعلِّق على عبارتها ..

فلثوان ، ظلَّ الشبح واقفًا أمام الكمبيوتر ، ثم لم يلبث أن ضغط زرًّا فى حزامه ، فتموَّج جسده الشبحى لحظة ، ثم تجسَّد فى هيئة مادية ، جعلت (نشوى) تهتف :

- يا إلهى ! إنها أحزمتهم التى ..

رفع (طارق) سبَّابته إلى شفتيه فى سرعة ، وهو يضغط يدها ؛ لتلتزم الصمت ..

ولكن جهاز الاستماع الدقيق ، فى خوذة ذلك الشبح ، كان قد التقط هتافها بالفعل ؛ لذا فقد التفت إلى حيث يختفيان ، فى حركة حادة ، قبل أن يضغط ذلك الزر فى حزامه مرة أخرى ، ليتموَّج جسده ، ثم يستعيد هيئته الشبحية ، وهو يرفع سلاحه ، ويتجه نحوهما مباشرة ..

وفى ارتياع شديد ، همست (نشوى) :

- رباه ! إنه ..

ضغط (طارق) يدها ، قبل أن تكمل عبارتها ، وهمس فى حزم :

- اطمئنى .

وسحب سلاحًا من حزامه ، وهو يضيف ، بكل حزم وصرامة الدنيا :

- سيكون عليه أن يمزقنى إربًا ، قبل أن يمسّ شعرة واحدة منك .

قالها ، ثم ربّت على كتفها مهدئًا ، والتقط من جيبه منظارًا خاصًا ، وضعه على عينيه ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ثم يثب من مكمنه ، ويندفع نحو ذلك الشبح بغتة ..

كان الشبح قد اقترب حتى مسافة سبعة أمتار من مكمنهما ، عندما فوجئ بـ (طارق) ينقضّ عليه بغتة ، فرفع سلاحه نحوه فى صرامة ، و ...

وأطلق (طارق) سلاحه أولاً ..

ولم تدر (نشوى) ما الذى فعله سلاحه بالضبط ، ولكنها رأت ذلك الشبح يرفع يديه إلى عينيه ، على نحو يوحى بأنه قد تلقى ضوءًا عنيفًا مؤلمًا مباغتًا ، إلى حد أنه قد ترك سلاحه يسقط أرضًا ..

ووثب (طارق) ، ليقطع المسافة المتبقية ، بينه وبين الشبح ، وهو يسحب من حزامه أسطوانة صغيرة ، غرسها فى الأرض ، عند قدمى الشبح مباشرة ، فى نفس الوقت الذى رفع فيه هذا الأخير يديه عن عينيه ، ثم انحنى يستعيد سلاحه ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا غاضبًا ..

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، عندما رأت جزءًا من جسد الشبح نصف الشفاف ، يعبر جسد (طارق) ، الذى ضغط زرًا صغيرًا فى تلك الأسطوانة ، فى نفس اللحظة التى اعتدل فيها الشبح ، وصوّب إليه سلاحه ، وقدر هائل من المقت والغضب يطلّ من عينيه ..

ثم سمعت (نشوى) فرقعة مكتومة ..

فرقعة خافتة للغاية ، انبعثت من تلك الأسطوانة ، عند قدمى الشبح ، دون ضوء أو دخان ..

وانتفض جسد الشبح فى عنف ..

وأطلّت من عينيه نظرة رعب هائلة ..

ثم تموّج جسده فى قوة ..

وسقط سلاحه من يده ..

وفى مشهد رهيب تحلّل جسده كله ..

وتلاشى مع سلاحه من الوجود ..

تمامًا ..

وفى انبهار يموج بالانفعال ، اندفعت (نشوى) نحو (طارق) ، هاتفة فى خفوت مذعور :

ـ ماذا أصابه ؟! وما هذه الأسطوانة ؟!

لهث (طارق) ، وكأنما بذل جهدًا رهيبًا ، وهو يجيبها فى صوت ، حمل قدرًا هائلاً من الإجهاد :

ـ نوع من القنابل الارتجاجية المحدودة ، ذات طابع خاص للغاية ؛ فانفجارها يخلّ بالتوازن الخلوى ، للمسافرين عبر الزمن ، و ...

لم يستطع إتمام عبارته ، وهو يلهث بعنف أكثر ، فاتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف فى همس يموج بالرعب :

ـ رباه ! أنت أيضًا مسافر عبر الزمن .. رباه ! رباه !

أدركت على الفور أن تلك القنبلة الارتجاجية قد أخلّت بتوازنه الخلوى أيضًا . فجاهدت وهى تجذبه نحو السيارة ، التى تختفى خلف حاجز أمنى قصير ، مردّدة فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! لماذا فعلتها ؟! لماذا جازفت بحياتك هكذا ؟!

جاءها صوته ضعيفًا متهالكًا ، وهو يتمتم :

ـ كان من الضرورى أن أحميك منه .

هتفت مستنكرة :

- على حساب حياتك ؟!

رفع عينيه المجهدتين إليها ، وهمس :

- لايمكن أن أفقدك مرتين .

اتسعت عيناها فى ارتياع لقوله ، وهتفت ، وهى تدفعه داخل السيارة :

- مرتين ؟! ماذا تعنى بهذا ؟!

ولكنها لم تحصل منه على أى جواب ..

هذا لأنه قد سقط فى غيبوبة ..

غيبوبة عميقة ..

عميقة ..

للغاية ..

وفى نفس لحظة سقوطه ، برز شبحان عند مدخل مبنى المخابرات العلمية وهما يحملان سلاحيهما ، ويتلفتان حولهما فى توتر ..

وحبست (نشوى) أنفاسها ، وهى تختلس النظر إليهما ، من مكمنها المؤمَّن ، وبدا لها من الواضح أنهما يبحثان عن زميلهما الغائب ..

ثم رأتهما يتطلعان نحو الحاجز الأمنى مباشرة ، وأحدهما يشير إلى حيث تختفى ، مع (طارق) والسيارة ..

وفى حزم ، اتجه الشبحان نحوها ، وسلاحهما مشهوران فى تحفز ..

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، وهى تتطلع إلى (طارق) الفاقد الوعى ، داخل سيارتها ، والشبحان يقتربان ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

وبدا من الواضح أن المواجهة الحاسمة ستحدث ، خلال دقائق معدودة ..

المواجهة مع تلك الأشباح ..

القاتلة ..

* * *

« استيقظ أيها الرائد (هيثم) .. »

التقطت أذنا (هيثم) العبارة ، بصوت هادئ مألوف ، فاستيقظ عقله من غيبوبته العميقة دفعة واحدة ، وتمتم :

ـ أين أنا ؟!

أتاه الصوت نفسه ، يقول :

ـ هنا .

كرَّر فى حيرة :

ـ هنا ؟!

أتاه الصوت نفسه ، يجيب :

ـ نعم .. هنا .. فى العدم .

الكلمةَ الأخيرة جعلته يستعيد إدراكه كله دفعة واحدة ، ويفتح عينيه عن آخرهما ، لترتطما بذلك الفراغ الهائلِ ، المحيط به من كل جانب ، قبل أن يعتدل ، هاتفا :

ـ العدم ؟!

أدار عينيه ، ليتطلَّع إلى خبير الأشعة وخبيرة الصوتيات ، اللذين يجلسان على مقربة منه ، بوجهين شاحبين ممتقعين ، وقال فى توتر :

ـ من منكما أيقظنى ؟!

بدت عليهما دهشة حقيقية ، وخبيرة الصوتيات تقول :

ـ أيقظك ؟! إننا لم نوقظك .. لقد استيقظت وحدك .

قال فى دهشة عصبية متوترة :

ـ وحدى ؟! ولكننى سمعت صوتًا يـ ..

بتر عبارته بغتة ، دون سبب منطقى ، فغمغم خبير الأشعة ، بصوت أكثر شحوبًا من وجهه :

ـ صوت ؟! أى صوت ؟!

لوَّح (هيثم) بيده ، قائلاً :

ـ لا بأس .. يبدو أنه مجرَّد حلم .

تبادل الخبيران نظرة حائرة ، قبل أن تقول خبيرة الصوتيات فى عصبية :

- هل تعلم .. لقد ناقشنا نظريتك ، ووجدنا أنها صحيحة تمامًا .

سألها فى حيرة حذرة :

- أية نظرية ؟!

أجابه خبير الأشعة فى سرعة ، بنفس الصوت الشاحب :

- إننا بالفعل فى فجوة زمنية .

انعقد حاجبا (هيثم) ، دون أن يجيب ، فقالت خبيرة الصوتيات :

- إنه جيب زمنى ، لو شئت الدقة .. جيب يجعلنا ضائعين ، أو معلقين فى مجرى الزمن ..

بدا عليه الانتباه والاهتمام ، فأكمل خبير الأشعة :

- بالنسبة لنا ، سيظلّ الزمن دائمًا فى نقطة الصفر ، وهذا يعنى أننا مهما ظللنا هنا ، فسنعود فى النهاية

إلى نقطة قريبة للغاية ، من تلك التى اختفينا عندها .

تساءل (هيثم) فى اهتمام :

- وماذا عن ذلك الديناصور ، الذى ظهر عندما ..

قاطعته خبيرة الصوتيات فى توتر :

- مشكلتنا هنا أننا معلقون فى مجرى الزمن ، كما سبق أن أخبرتك ، وهذا يعنى أنه لدينا مخرج لكل زمن ، وكل عصر من عصور ما قبل التاريخ ، وحتى نهاية العالم .. ولكن الكارثة أننا لا نعلم أية نقطة يمكن أن تقودنا إلى أى زمن .

غمغم :

- هل تعنين أن ما أصاب قائد الطوّافة المسكين ، كان مجردً مصادفة ؟!

زفر خبير الأشعة ، وهو يهزّ رأسه مجيبًا فى مرارة :

- للأسف .. المسكين أطلق أشعة مسدسه عشوائيًا ،

ولكنها سَبّبت خللا ما فى الفراغ الزمنى ، أدّى إلى حدوث ذلك الشقّ ، الذى أطل على عصر الديناصورات ، فى عصور ما قبل التاريخ .

هزّ (هيثم) رأسه ، متمتمًا فى أسى :

ـ يا للبائس المسكين !! وياله من مصير بشع ، ذلك الذى ينتظره ، فى عالم من الوحوش الكاسرة ، ليس به بشرىّ سواه .

عضت خبيرة الصوتيات شفتيها ، مغمغمة فى مرارة :

ـ لست أظنه سيعانى هذا طويلاً .

انحدرت دمعة من عينيها ، مع نهاية عبارتها ، فازدرد (هيثم) لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ـ أعلم هذا .

تحشرج صوته وهو ينطقها ، فتنحنح فى قوة ، وتوترت أعصابه ، وهو ينهض قائلاً :

ـ يا إلهى ! كم أشعر بالعطش .

تبادلت خبيرة الصوتيات نظرة سريعة مع خبير الأشعة ، قبل أن تقول :

ـ هذه مشكلة أخرى .

أدار (هيثم) عينيه إليها فى تساؤل قلق ، فأكمل خبير الأشعة فى توتر :

ـ صحيح أن الزمن هنا يساوى صفرًا ، إلا أنه من الواضح أن معدلاتنا الحيوية تعمل بنفس إيقاعها التقليدى .

تساءل (هيثم) ، فى حذر أكثر :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته خبيرة الصوتيات ، وصوتها يشف عن توترها اللا محدود :

ـ يعنى أن البقاء هنا ، دون وجود مخرج ، يعنى أن نقضى نحبنا جوعًا وعطشًا .

وأضاف خبير الأشعة فى مرارة :

ـ فى قلب العدم .

والتقى حاجبا الرائد (هيثم) فى شدة أكثر وأكثر ..

فهذا يعنى أنه إما أن يجدوا مخرجًا من هذا الفخ الزمنى الرهيب ، أو تكون نهايتهم هى الموت ..

الموت ..

وبأبشع وسيلة ممكنة ..

* * *

ظلام دامس ، أحاط بـ (طارق) من كل جانب ..

ظلام ، بدا على الرغم من كل ما يملؤه من رهبة ، مألوفًا معتادًا ، حتى إن (طارق) قد شعر داخله بهدوء شديد ، جعل كل جسده يسترخى ..

ومع استرخائه ، انطلق عقله يستعيد ذكرى قريبة ..

بالنسبة له وحده ..

« الواجب يناديك مرة أخرى يا (طارق) .. »

قالها القائد الأعلى للمخابرات العلمية الحربية فى زمنه ، فشدّ هو قامته ، وقال فى حزم صادق :

ـ وأنا على أهبة الاستعداد يا سيّدى .

تطلّع إليه القائد الأعلى بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ دوريات مراقبة الزمن كشفت موجة شديدة الخطورة يا (طارق) ، موجة أحدثت بالفعل تموجات مخيفة ، تهدّد مستقبل الأرض كله بالفناء .

ثم ناوله أسطوانة صغيرة ، لا يزيد قطرها على ثلاثة سنتيمترات ، وهو يضيف :

ـ هنا ستجد كل المعلومات الممكنة ، التى رصدتها وسجلتها دوريات مراقبة الزمن ، مع التاريخ الافتراضى ، الذى نشأ عن تلك التموجات .

واعتدل فى حزم ، مكملاً :

ـ الأمر جد خطير يا (طارق) ، إلى الحد الذى قد تدفع حياتك نفسها ، فى سبيل منع حدوثه ، لو اقتضى الأمر .

« الأمر خطير يا (طارق) .. »

« خطير .. » ..

« خطير .. » ..

ترددت الكلمة ، بصوت القائد الأعلى لزمنـه ، فى كل ذرة من كيانه ، فخفق قلبه معهـا ، وأراد أن يهتف بأنـه مستعد لبذل حياته دومًا ، فى سبيل واجبه ، و ...

« أنت أمل الأرض الأخير يا (طارق) .. »

تسللت العبارة الجديدة إلى كيانه ، بصوت يخالف صوت القائد الأعلـى لزمنـه ، فسـرت فـى جسـده قشعريرة ، جعلته يهتف :

ـ المقدّم (نور) .

تبدّد الظلام بضوء بنفسجى هادئ ، ظهر على أثره (نور) ، وهو يتجه نحوه ، مكررًا :

ـ أنت أمل الأرض الأخيـر ، بعد اللّه (سبحانه وتعالى) .

اعتدل جالسًا ، وغمغم فى قلق :

ـ الأمر ليس هينًا .

جلس (نور) إلى جواره ، وقال فى هدوء :

ـ أعلم هذا .. إنه أمر خطير للغاية .. وخاصة مع خصوم بهذه الشراسة ، ولكنـك تمتلك معلومـات كافيـة ، و(نشوى) إلى جوارك ، بذكائها ، وخبرتها العبقرية فى العلوم والكمبيوتـر ، ولـو تعاونتمـا ، سيمكنكما تحقيق الكثير .. والكثير جدًا .

تساءل فى اهتمام :

ـ كيف ؟!

رفـع (نـور) سبّابته إلى رأسـه ، قائلاً بابتسامة هادئة :

ـ فكّر يا (طـارق) .. فكّـر .. لقد ورثت الذكـاء والحكمة ، ولديك المعلومات والتكنولوجيا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ هناك وسيلة ما حتمًا يا (طارق) .. وسيلة ما .

وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يلمس رأسه بسبَّابته ، مضيفًا فى حزم :

- هنا .

انتفض جسده كله فى عنف ، مع لمسة سبَّابة (نور) لرأسه ، واعتدل جالسًا فى حركة حادة ..

ثم انعقد حاجباه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى (نشوى) ، التى تجلس أمام شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، والتى التفتت إليه ، قائلة فى لهفة :

- هل استعدت وعيك .. عظيم .. هيا .. قف على قدميك ، فليس لدينا وقت نضيعه .

تلفَّت حوله ، وهو يتساءل فى حيرة :

- أين نحن ؟!

أجابته فى سرعة ، وأصابعها تواصل القفز على أزرار الكمبيوتر :

- إننا هنا .. فى مقر الفريق .. لقد توصَّلت إلى أمر مهم وخطير للغاية ، بشأن هؤلاء المستقبليين .

التقى حاجباه ، وهو يتلفَّت حوله مرة أخرى ، قائلاً :

- فى مقر الفريق ؟! ولكن هذا غير ممكن !

توقَّفت أصابعها عن الضرب على أزرار الكمبيوتر ، والتفتت إليه ، متسائلة فى اهتمام :

- ولِمَ لا ؟!

أشار بيده ، قائلاً فى عصبية :

- لأن تلك الأشباح تسيطر على مبنى المخابرات العلمية ، ومقر الفريق داخل المبنى ، و ...

« عبقرى آخر .. » ..

انبعث الصوت من خلفه ، فاستدار إلى مصدره فى سرعة ، ورأى شبحًا يصوِّب إليه سلاحه ، ثم يضغط زناده ، فتنطلق منه فقاعة صفراء قاتلة ..

وانتفض جسده مرة أخرى ..

ثم استعاد وعيه بحق هذه المرة ..

وفتح عينيه ، ليخرج من حلمه ..

ويا له من حلم مزدوج عجيب !!

وبسرعة ، انتبه لما حوله ..

كان داخل سيارة (نشوى) ، خلف ذلك الحاجز الأمنى ، والظلام يحيط به ، الا من الضوء المنبعث من مبنى المخابرات العلمية ، على بعد مائة متر تقريبًا ..

واعتدل (طارق) فى سرعة ، والتقى حاجباه فى شدة ، عندما شاهد (نشوى) تحاول التعامل مع أسطوانة تفجير إرتجاجية زمنية ، انتزعتها من حزامه ، فى أثناء سقوطه فِى غيبوبته ، ورأى شبحين يقتربان من الحاجز فى تحفز ، وسلاحهما مشهران متحفزان ..

وبحركة سريعة ، مال خارج السيارة ، وجذب (نشوى) إليه ، وهو يهمس فى حزم :

ـ ليس مرة أخرى .

انتفض جسدها لجذبته المفاجئة ، وكتمت شهقتها فى حلقها ، وهى تحدّق فيه ، فالتقط الأسطوانة الارتجاجية من يدها ، ودسّها فى حزامه ، ودفعها هى داخل السيارة ، هامسًا :

وبحركة سريعة ، مال خارج السيارة ، وجذب (نشوى) إليه ، وهو يهمس فى حزم : ـ ليس مرة أخرى !! ..

- المواجهة ليست خيارًا ذكيًا هذه المرة .

أغلق باب السيارة فى رفق ، ثم أدار محركها ، وهى تهتف فى خفوت متوتر :

- رباه ! سيسمعان صوت المحرك !

كان الشبحان قد انطلقا يعدوان نحوهما بالفعل ، فور إدارته للمحرك ، فضغط دوّاسة الوقود فى قوة ، وهو يقول فى حزم :

- فليكن .

اندفعت السيارة فى قوة مباغتة ، وإطاراتها تطلق صرخة عالية ، وحطّمت جانب الحاجز الأمنى ، ثم وثبت نحو الشبحين ، و(طارق) يدير عجلة قيادتها بحركة حادة مدروسة ..

وعلى نحو مباغت ، اخترقت السيارة جسدى الشبحين ، على نحو جعل (نشوى) تطلق شهقة مذعورة ، قبل أن تندفع السيارة مبتعدة ..

وبأقص سرعة ..

وفى غضب هادر ، استدار الشبحان إلى السيارة ،

وارتفعت فوهات سلاحيهما ، وانطلقت الفقاعات الصفراء القاتلة ..

وصرخت (نشوى) :

- إنها تطاردنا .

التقى حاجبا (طارق) ، وهو يتطلّع عبر مرآة السيارة ، إلى الفقاعات الصفراء الأربع ، التى راحت تطارد السيارة فى إلحاح ، ثم ألقى نظرة على الطريق المظلم أمامه ، قبل أن يقول فى صرامة :

- قومى بتصحيح معلوماتى .. هل تم تزويد السيارات بالقيادة الآلية ، فى هذا العصر ؟!

أجابته فى توتر :

- ليس بصورة عامة ، ولكن هذه السيارة مزوّدة بقائد آلى .

ثم تساءلت فى عصبية :

- ولكن لماذا تسأل ؟!

فوجئت به يتخلَى عن عجلة القيـادة ، قائـلاً فى حزم :

ـ قومى بتشغيله إذن .

شهقت مرة أخرى فى ذعر ، عنـدما دفع جسده إلى ، المقعد الخلفـى ، وعينـاه تتابعـان الفقاعـات الصفراء الأربع ، التى تواصل مطاردتها للسيارة فـى شراسة ، وتقتربان منها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبكل توترها ، مالت (نشوى) بجسدها ، محاولـة احتلال مقعد القيادة الذى تخلَى هو عنه ، وانحنت بحركة حادة ، لتضغط زرًا أسفل تابلوه القيادة ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !! يا إلهى !

أما (طارق) نفسه ، فقد أدار يده خلف ظهره ، وجذب من حزامه كرة هلامية صغيرة ، وهو ينتزع مسدسه باليد الأخرى ، ويطلقه على الزجاج الخلفـى للسيارة الذى تهشَم بدوى عنيف ، جعل (نشوى) تصرخ :

ـ ماذا تفعل ؟! رباه ! ماذا تفعل ؟!

لمحته فى المرآة الداخلية ، وهو يحمل مسدسـه ، فى مواجهة تلك الفقاعات الأربع ، التى اقتربت من السيارة على نحو مخيف ، فهتفت :

ـ هل .. هل سيمكنك إطلاق النار عليها ، فى هذه الظروف ؟!

أجابها فى حزم :

ـ إطلاق النار لن يفيد ؛ فهذا النوع من القنابل الذكيـة يمتلك قدرة مدهشة ، علىَ تجاوز الرصاصات وخيوط الأشعة وتفاديها بمناورات معقَدة ناجحة .

هتفت ، وهى ترتجف :

ـ ماذا ستفعل إذن ؟

رفع الكرة الهلامية الصغيرة ، وهو يجيب :

ـ سأستخدم سلاحًا مختلفًا .

قالها ، وقذف الكرة فى الهواء ..

وعلى نحو عجيب ، تمددّت الكرة الهلامية ، وتفلطحت ، وصنعت ما يشبه غشاءً نصف شفاف ، انجذبت إليه الفقاعات الأربع ، والتصقت به في قوة ، فالتفَّ حولها ، وحدَّ من سرعتها وانفعالها ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، أضاء منطقة واسعة ، خلف سيارة (نشوى) ، التي أطلقت شهقة أخرى ، والسيارة تبتعد بها وبـ (طارق) عن مبنى المخابرات العلمية ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وعند المبنى نفسه ، صرخ أحد الشبحين بسباب ساخط ، فبرز من خلفه شبح ابن السيِّد (أمجد) يقول في صرامة :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه أحدهما في عصبية :

ـ أمر جديد ، لم يحدث في المرتين السابقتين .

انعقد حاجباه ، وهو يتساءل :

ـ وما هو ؟!

ضغط أحدهما زر جهاز صغير يحمله ، وهو يقول في توتر :

ـ سترى بنفسك .

قبل حتى أن تكتمل عبارته ، بدأ الجهاز يبث صورة هولوجرامية مجسمة لسيارة (نشوى) ، وهي تثب نحوهما ، وتخترقهما ، ثم تنطلق مبتعدة ، وهما يطلقان خلفها فقاعاتهما القاتلة ..

وانعقد حاجبا الشبح أكثر ، وهو يقول :

ـ هذه السيارة ، وهذا الشاب .. إنني ..

لم يتمّ عبارته ، وإنما انخرط في تفكير عميق بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم صارم :

ـ استخدم جهاز المعلومات المتطوِّر ، ولنر ما لدينا عن السيارة ، وذلك الشاب الذي يقودها .

ضغط أحد الشبحين زرًا آخر فى جهازه الصغير ، فتركز المشهد عند رقم سيارة (نشوى)، ثم استدعى ملف بيانات ذلك العام ، من القرن الواحد والعشرين ، وسرعان ما ارتسمت صورة واضحة لـ (نشوى) على الشاشة ، وإلى جوارها كل البيانات الخاصة بها ، فتألقت عينا شبح ابن السيِّد (أمجد) وهو يقول :

ـ آه .. إنها عبقرية الكمبيوتر .. ابنة (نور) و(سلوى)، التى سيتحدَّث العالم كله عنها ، بعد سنوات من الآن ..

صمت بضع لحظات ، وهو يراجع البيانات على شاشة الجهاز ، قبل أن يقول :

ـ وماذا عن قائد السيارة ؟!

مع ضغطة زر آخر ، تركَّز المشهد على وجه (طارق)، من خلف زجاج السيارة ، فى عدد مختلف من اللقطات ..

ثم راح الجهاز يرسم صورة مجسمة لوجهه ، قبل أن يراجعها على ملف بيانات العام ..

والتقى حاجبا شبح ابن السيِّد (أمجد) فى شدة ، عندما جاءت النتيجة سلبية تمامًا ..

وفى دهشة بالغة ، هتف أحد الشبحين :

ـ ولكن هذا مستحيل ! ملفاتنا عن هذا العصر كاملة تمامًا ، ولقد راجعها خبراؤنا أكثر من مرة .

لمْ يعلِّق شبح قائدهم بحرف واحد ، وهو يطالع الصورة المجسَّمة ، على شاشة الجهاز الصغير ، والبيان السلبى إلى جوارها ، فى حين راح عقله يعمل كالصاروخ ، فى محاولة لاستيعاب الأمر ..

وبعد نصف دقيقة من الصمت ، قال فى صرامة :

ـ راجع بيانات عصرنا نحن .

التفت إليه الشبح الآخر ، قائلاً فى دهشة :

ـ عصرنا ؟!

أجابه شبح القائد فى صرامة :

ـ نعم .. عصرنا .. العصر الذى أتينا منه .. هل يحتاج هذا إلى كثير من التفسير والتوضيح ؟!

تبادل الشبحان نظرة متوترة ، قبل أن يغمغم حامل الجهاز الصغير :

- كما تأمر أيها الزعيم .

مع ضغطة أزرار أخرى ، بدأت عملية مراجعة البيانات الجديدة ..

وفى هذه المرة ، جاءت النتيجة إيجابية ..

ومدهشة !

وانعقد حاجبا شبح القائد أكثر وأكثر ، وهو يطالع البيانات الجديدة فى حين هتف أحد الشبحين :

- يا للعجب ! إنه رجل مخابرات علمية ، من زمن يسبق زمننا بعدة أعوام فحسب !!

هتف الآخر :

- ولكن كيف ؟!

بلغ انعقاد حاجبى شبح الزعيم أقصاه ، وهو يقول :

- من الواضح أن دوريات مراقبة الزمن قد رصدت الموجات الزمنية ، التى حدثت فى المحاولتين السابقتين .

وصمت بضع لحظات أخرى ، مفكرًا بنفس العمق ، قبل أن يتابع فى صرامة :

- والعجيب أن يرسلوا هذا الشخص بالذات .

ألقى نظرة أخرى على بيانات (طارق) ، قبل أن يضيف :

- السؤال هو : هل تعرف هى من يكون ذلك المنقذ المجهول ، الذى جاءها من المستقبل ؟!

وارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية ، وهو يستطرد :

- أراهن على أنها لا تعلم ، وإلا ما سمحت له بالمجازفة بنفسه أبدًا .

قالها ، وأطلق ضحكة وحشية عالية ..

ضحكة تشفَّ عن أن خطة شيطانية رهيبة تتكوَّن فى رأسه ..

أو هى قد تكوَّنت بالفعل ..

فكرة للسيطرة التامة على هذا الزمن ..

وعلى مستقبل الأرض ..

بأكمله .

* * *

٦ ـ شيطان المستقبل ..

« لا شىء هنا يمكن لمسه .. » ..

نطقت خبيرة الصوتيات العبارة فى توتر ، وهى تحرّك يدها فيما حولها ، فى عصبية بالغة ، فقال الرائد (هيثم) فى صرامة :

ـ ولكننا نستطيع السير ، والحركة ، وهذا يعنى أنه هناك كيان ما ، يمكننا لمسه ، على نحو أو آخر .

سأله خبير الأشعة فى توتر :

ـ هل تشعر بأنك تسير على كيان ما ؟!

زفر (هيثم) ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

ـ كيف نسير إذن ؟!

قلبت خبيرة الصوتيات كفيها ، قائلة :

ـ لست أدرى حتى كيف نفعل هذا !! كيف نقف ،

أو نجلس ، أو حتى نحرك أيدينا وسيقاننا !! بل لست أدرى حتى لا نسقط عبر الفراغ .

قال خبير الأشعة فى عصبية :

ـ أو نطير إلى أعلى .

هتفت :

ـ نعم .. لماذا لا نفعل ، ما دام كل ما يحيط بنا مجرَّد فراغ ؟!

رفع الرائد (هيثم) سبَّابته ، وهو يقول فى صرامة ، لم تقلّ عنهما توترًا :

ـ هذا يثبت أنه هناك شىء ما حولنا .

ودار حول نفسه ، وهو يكمل :

ـ شىء قد لا نراه أو نرصده ، ولكنه هنا .

وسحب مسدسه من غمده ، هاتفًا :

ـ ربما لو أطلقنا أشعة الليزر مرة أخرى ..

صرخت خبيرة الصوتيات فى ارتياع :

ـ إياك أن تفعلها .

وارتجف صوتها فى قوة ، وهى تكمل :

ـ لا يمكننا أن نتوقَّع ما يمكن أن يحدث .

أضاف خبير الأشعة :

ـ ولا أى عصر ، يمكن أن ننفى فيه إلى الأبد .

قال (هيثم) فى عصبية :

ـ وما الفارق ؟! لو بقينا هنا ، سنلقى حتفنا جوعًا وعطشًا .

ثم رفع فوهة مسدسه الليزرى ، مستطردًا فى حزم :

ـ وأنا أفضّل الموت مقاتلاً .

خفق قلب خبيرة الصوتيات فى هلع ، وهى تهتف :

ـ لا .

استدار إليها بنظرة صارمة حازمة ، فانحدرت الدموع من عينيها غزيرة ، وهى تقول :

- فى المرة السابقة انشقّ الجيب الزمنى لثوان معدودة ، فقدنا خلالها الطيّار ، وأصابنا خلل زمنىٌ توازنى ، كاد يهلكنا جميعًا .

وانهارت تمامًا ، وهى تضيف :

- أرجوك لا تفعلها .. أرجوك .

تطلّع إليها (هيثم) بضع لحظات ، قبل أن يخفض فوهة مسدسه ، قائلاً :

- أخبرينى .. لو أن الموت آت لا ريب ، فأيهما تفضلين ؟! موت سريع ، أم آخر قاسٍ بطىء ؟

قالت ، من وسط دموعها :

- لن أفضّل الموت فى بطن ديناصور جائع على الأقل .

مط شفتيه ، ثم استدار إلى خبير الأشعة ، يسأله :

- من الناحية العلمية الإحصائية المحضة .. ما احتمالات أن نفتح شقًا ثانيًا ، فى زمن الديناصورات ؟!

بدت الحيرة فى وجه الخبير الشاب وصوته ، وهو يجيب فى حذر :

- لست أحمل الكمبيوتر اليدوى الصغير ، ولكننى أعتقد أنه احتمال يزيد على الواحد فى المليون .

رفع (هيثم) فوهة مسدسه الليزرى مرة أخرى ، وهو يقول :

- عظيم .

صرخت خبيرة الصوتيات ، بكل رعب الدنيا :

- لا .. باللّه عليك .. لا .

ولكن سبّابته كانت قد اعتصرت زناد مسدسه بالفعل ، قبل حتى أن يبدأ هتافها المذعور ..

وانطلقت أشعة الليزر ..

ولثوان ، لم يحدث أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

الفراغ ظلّ فراغًا ، صامتًا ، ساكنًا ، يمتدّ إلى مدى البصر ، حتى إن خبير الأشعة قد غمغم فى حذر :

ـ لماذا لم ..

قبل أن يتمَ تساؤله ، انشق الفراغ بغتة ، على مسافة قريبة للغاية من ثلاثتهم ..

ثم هبَت تلك الرياح ..

رياح ساخنة قوية ..

رياح جعلت خبيرة الصوتيات تطلق صرخة رعب هائلة ..

صرخة انتشرت فى الفراغ ، إلى ما لا نهاية ..

ومع صرختها ، بدت صورة واضحة ، من وراء الشق ..

صورة اتسعت لها عيونهم فى ذهول ..

فقد كان ما يرونه أمر غير متوقَّع أو متصورَ ، أو حتى يمكن تخيُّله ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

تراجعت (هناء) زميلة (نشوى) ، فى ذعر ودهشة ، عندما فوجئت بهذه الأخيرة تقتحم المنزل فى عنف وهلع ، هاتفة :

ـ الصغيران .. أين الصغيران .

ارتجف صوت (هناء) ، على الرغم منها ، وهى تشير بيدها ، قائلة :

ـ إنهما نائمان كما تركتهما .. ولكن لماذا ..

لم تنتظر (نشوى) لتسمعها ، وانما انطلقت نحو حجرة الصغيرين ، فى حين دلف (طارق) إلى المكان ، وهو يقول :

ـ معذرة يا آنسة (هناء) .. لم نقصد أن نفزعك فى الواقع ، ولكن الأمور تطورَت فى سرعة ، و ...

قاطعته فى توتر :

ـ من أنت ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ أحد أقارب السيِّدة (نشوى) .

سألته فى اهتمام ، لايتناسب مع الموقف :

ـ أية درجة من القرابة ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ـ درجة قريبة جدًا .

ظهرت (نشوى) فى تلك اللحظة ، وهى تحمل الصغيرين ، اللذين لم يفارقهما أثر النوم بعد ، وإن بدت عليهما دهشة مرتبكة ؛ لانتزاعهما من فراشيهما على هذا النحو ، وهتفت (نشوى) بـ (هناء) :

ـ عودى إلى منزلك فورًا يا (هناء) .. لا تبقى فى هذا المنزل لحظة واحدة بعد انصرافنا .

سألتها (هناء) ، وقد انتابها خوف مبهم :

ـ لماذا ؟! ماذا حدث ؟!

دفعت (نشوى) الصغيرين داخل السيارة ، ثم وثبت إلى جوار (طارق) وهى تلوّح بيدها ، هاتفة فى حدة :

ـ عودى إلى منزلك بالله عليك .. الآن .

قالتها ، و(طارق) ينطلق بالسيارة بالفعل ، فهتفت (هناء) :

ـ وما عيب هذا المنزل ؟! لماذا تغادرونه هكذا ؟!

لم تتلق منهما جوابًا ، فحدَّقت فى الظلام ، حيث اختفت السيارة ، وتمتمت فى توتر :

ـ ماذا أصابها ؟!

ثم هزَّت رأسها ، وتنهَّدت متمتمة :

ـ يا لأفراد المخابرات العلمية !! إنهم مجانين بحق .

هزَّت رأسها مرة أخرى ، وعادت إلى المنزل ؛ لتلتقط حقيبتها ، و ...

« السيِّدة (نشوى) .. »

انبعث الصوت من خلفها ، ومن داخل المنزل ، فاستدارت فى سرعة إلى مصدره ، وانطلقت من حلقها صرخة رعب ، وهى ترتدّ بعنف كالمصعوقة ، وعيناها المتسعتان عن آخرهما ، تحدقان فى ذلك الشبح ، الذى عبر جدار منزل (نشوى) ، وهو يصوِّب إليها سلاحًا عجيبًا ..

انبعث الصوت من خلفها ، ومن داخل المنزل ، فاستدارت فى سرعة إلى مصدره ، وانطلقت من حلقها صرخة رعب ، وهى ترتدّ بعنف كالمصعوقة ..

وقبل أن تُطلق هى صرخة أخرى ، انطلقت من ذلك السلاح العجيب فقاعة .. فقاعة زرقاء ، لم تكد ترتطم بجسدها ، حتى انتفض فى عنف ، وكأنما أصابتها صاعقة ، وسقطت أرضًا كالحجر .

وبينما يخفض الشبح سلاحه ، عبر الجدار ذلك الشبح الزعيم ، وألقى نظرة على (هناء) الملقاة أرضًا ، ومطَّ شفتيه ، قائلاً :

- غبى .

هتف الشبح الأوَّل :

- ولكننى نفذت ما ..

قاطعه الشبح الزعيم فى غضب :

- لقد أصبت الهدف الخطأ .

والتقى حاجباه ، وهو يدير عينيه فى المكان ، مستطردًا :

ـ لو وصلنا متأخرين مرة أخرى ، أو أخطأنا هدفًا آخر ، فى ظل هذه الظروف ، ربما يضطرنا هذا إلى القيام بمحاولة رابعة .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى شراسة :

ـ ومصدر الطاقة لدينا لن يحتمل كل هذه الأخطاء .

غمغم الشبح الآخر فى توتر :

ـ كانت وحدها فى المنزل ، وتصوَّرت أن ..

قاطعه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ اصمت .

ثم راح يفكِّر بضع لحظات فى عمق ، قبل أن يشدَّ قامته ، قائلاً :

ـ أريد كل البيانات الخاصة بفريق (نور) .. كل البيانات ، مهما بلغت تفاهتها ، وبالذات بيانات الملف السرى الخاص .

وانعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يضيف فى صرامة وحشية :

ـ فأنا مصرّ على الانتصار فى هذه المحاولة .. ومهما كان الثمن ..

نطقها ، وعيناه الشبحيتان تتألقان على نحو مخيف ..

رهيب ..

وقاتل ..

* * *

ضغطت (نشوى) زر جهاز الإضاءة ، فى المخبأ السرى للفريق ، عند أطراف (القاهرة) الجديدة ، وهى تسأل (طارق) :

ـ هل ذكر التاريخ أمر هذا المكان ؟!

تلفَّت (طارق) حوله ، وهو يغمغم :

ـ لست أذكر هذا قط .

ثم هزَّ رأسه ، مستطردًا فى إعجاب :

ـ كيف أمكنكم المحافظة على سريته ، إلى هذا الحد ؟!

أسرعت تجلس أمام جهاز كمبيوتر خاص بها ، وهى تقول :

- لا ينبغى أن يلقى رجل مخابرات علمية سؤالاً كهذا .

ابتسم ، مغمغمًا :

- صدقت .

أشعلت جهاز الكمبيوتر ، وهى تسأله فى اهتمام :

- كم تحمل من الأسطوانات الارتجاجية الزمنية ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

- ثلاثًا أخريات ، بخلاف تلك التى استخدمتها بالفعل ، ولكنه سلاح للطوارئ فحسب ، ومن غير المستحسن الإسراف فى استخدامه .

التفتت إليه ، متسائلة :

- ولماذا ؟! لو أنه لديكم قنبلة أكثر قوة ، من الطراز ذاته ، يمكننا استخدامها ، لإنهاء هذه المشكلة بأكملها .

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- لو استخدمنا قنبلة ضخمة ، من الطراز الارتجاجى الزمنى ، لكانت كارثة ، فانفجارها سيؤدّى إلى حدوث اختلال زمنى ، فى منطقة بأكملها ، وهذا قد يُحدث ما يشبه موجة التضاغط ، التى يحدثها أى انفجار عادى ، ولكنها ستحدث فى مجرى الزمن ، وستعقبها أيضًا حالة تخلخل عنيفة .

بُهتَ صوتها ، وهى تسأله :

- وماذا يمكن أن يحدث ، فى هذه الحالة ؟!

زفر وهو يلوّح بيديه ، مجيبًا :

- حاولى أن تتخيَّلى حالة تخلخل زمنى حاد .

هزَّت رأسها ، قائلة بصوت أكثر شحوبًا :

- لا يمكننى تخيَّل هذا أبدًا .

ابتسم ابتسامة باهتة ، قائلاً :

- أمر طبيعى .. أنا نفسى كنت عاجزًا عن تخيُّله ،

منذ بضع سنوات ، ولكن ما إن تم كشف تقنية السفر عبر الزمن ، حتى راح مئات العلماء يدلون بدلوهم فيها ، لتنهمر المعلومات على نحو لم يسبق له مثيل .

تطلَّعت إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تستدير إلى شاشة الكمبيوتر ، وتضرب أزراره فى عصبية ، قائلة :

- هل لاحظت أنك لا تجيب أسئلتى أبدًا ؟!

تطلَّع إليها فى صمت ، فتابعت بعصبية أكثر :

- لم تجب سؤالى الآن ، ولم تجب سؤالى ، عندما سألتك :

من أين تستقى معلوماتك .

غمغم :

- ربما لأن الأمر عسير على الفهم .

قالت فى حدة :

- قلت : إننى شهيرة بعبقريتى فى عصرك .. أليس كذلك ؟!

ارتفع حاجباه فى تأثُّر ، وهو يتطلَّع إليها فى صمت ، وهى تواصل الضرب على أزرار الكمبيوتر فى عصبية ، ثم عضَّ شفته ، فى محاولة لكتمان انفعال جارف ، عبر كيانه كله ، فى موجة انسيابية حائرة ، وهو ينهض ، ليسألها فى صوت مختنق مبحوح :

- ماذا تفعلين ؟!

أدركت بذكائها أنه يحاول تفادى الإجابة عن أسئلتها ، فأجابته فى حدة :

- أجمع المعلومات .

جذب مقعدًا ؛ ليجلس إلى جوارها ، متسائلاً :

- أى نوع من المعلومات ؟!

صمتت لحظة ، فى محاولة للسيطرة على انفعالها ، قبل أن تجيب :

- أريد معرفة ماحدث ، فى مبنى المخابرات العلمية .

سألها فى اهتمام حقيقى :

ـ وكيف هذا ؟!

أشارت إلى شاشة الجهاز ، قائلة :

ـ هـذا المخبأ سرى للغاية ، ولا يعرف بوجوده سوانا ، وسوى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، والدكتور (جلال) ، مدير مركز الأبحاث ، ولاتوجد أية سجلات أو بيانات خاصة به ، فى أى مكان ، حتى فى المخابرات العلمية نفسها ، ولقد تم انشاؤه عقب انتهاء احتلال الأرض(*) ، حتى يكون وسيلة مقاومة أخيرة ، فى حالة سقوط كل الرموز الأساسية ، ومن أجل هذا الغرض ، تم تزويده بجهاز رصد سرى خاص ، لتسجيل كل ما يحدث ، فى رياسة الجمهورية ، ووزارة الدفاع ، ومبنى المخابرات العامة ، وقيادة المخابرات العلمية ، وذلك لتحديد ما أصابها ، واتخاذ اللازم ؛ لمواجهة أى عدو غير مألوف ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

قال فى حماسة :

ـ فكرة عبقرية .

غمغمت ، وهى تضغط زرًّا أخيرًا ، ثم تتراجع فى مقعدها :

ـ إنها فكرتى .

ابتسم ، مغمغمًا :

ـ أمر طبيعى .

راح الاثنان يراقبان ما نقلته شاشات الرصد الداخلية ، فى مبنى المخابرات العلمية ، فى أثناء اقتحام الأشباح له ، و ...

« رباه ! إنه السيِّد (أمجد) .. » ..

هتفت بها (نشوى) فى ارتياع ، وهى تحدِّق فى صورة الشبح ، الذى يقود الحرب المحدودة ، فربَّت (طارق) على كتفها مهدِّئًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ ليس هو .. إنه ابنه .

استدارت إليه فى ذعر ، هاتفة :

- ابنه ؟!

ربَّت على كتفها مرة أخرى ، متمتمًا :

- إنها قصة طويلة ، سأشرحها لك بكل تفاصيلها ، عندما يوجد وقت لهذا .

مع آخر حروف كلماته ، توقَّفت المشاهد على الشاشة فجأة ، فهتفت هى فى حنق :

- الأوغاد أفسدوا عملية الرصد ، بعد اقتحامهم للمكان بوقت قليل .

تراجع فى مقعده ، قائلاً فى مرارة :

- إنها مجرَّد بداية .. إنهم سيسعون لإفساد أشياء عديدة .

قالت فى حزم :

- لا بد أن نمنعهم من هذا .

مال إلى الأمام ، قائلاً :

- منعهم من السيطرة على هذا الزمن ، وعلى مستقبل الأرض بالتالى ، يستلزم أمرين مهمين .

سألته فى اهتمام :

- وما هما ؟!

أجابها ، وهو ينهض من مقعده :

- كما أخبرتك .. هذه ليست أوَّل محاولة لهم ، للسيطرة على هذا الزمن ، وهذا يعنى أننا ، حتى لو وجدنا وسيلة لهزيمتهم ، فسيعودون مرة أخرى ، وسيسعون لتصفيتك وتصفيتى ، قبل تكرار المحاولة .

تساءلت فى اهتمام :

- وكيف يمكن أن نمنعهم من العودة لتكرار المحاولة ؟! أعنى لو أننا وجدنا وسيلة لهزيمتهم هنا .

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

- بأن نمنعهم من العودة إلى زمنهم .

التقى حاجباها فى تساؤل ، فتابع فى حماسة حازمة :

- إغلاق الممر الزمنى ، بين زمنهم وهذا الزمن ، كفيل وحده بهزيمتهم ؛ لأن أجسادهم لن تحتمل البقاء إلى الأبد ، فى زمن يخالف زمنهم .. توازنهم الخلوى لن يحتمل هذا .. وهم يعلمون ، لذا فتدمير نقطة المرور سيدمّر معنوياتهم ، ويجعل هزيمتهم أسهل ..

سألته فى اهتمام :

- وكم سيستغرق توازنهم الخلوى ، قبل أن ينهار فى زمننا هذا .

صمت لحظة ، قبل أن يجيب :

- ست وثلاثون ساعة .

هتفت بدهشة عارمة :

- فقط ؟!

رفع سبّابته ، قائلاً :

- إنهم يتحركون بسرعة كبيرة ، وتذكّرى أن كل هذا قد بدأ عند غروب الشمس فحسب ، وهى لم تشرق بعد حتى الآن .

التقى حاجباها مرة أخرى ، وهى تغمغم :

- أنت على حق .

ثم لوّحت بيدها ، متسائلة :

- ولكن ما الذى يمكنهم فعله ، للسيطرة على حاضرنا ومستقبلنا ، خلال هذه الساعات القليلة .

زفر فى قوة ، وهزّ رأسه ، وهو يجيب :

- هذا ما لم نتوصّل إليه قطّ .

هزّ رأسه مرة أخرى ، قبل أن يتطلّع إليها ، مضيفًا فى حزم :

- تذكّرى أنهم من زمن يفوقنا بعدة أعوام ، وتكنولوجيتهم العامة تتفوّق علينا كثيرًا ، وربما لديهم وسيلة ، تعجز عقولنا عن إدراكها وفهمها الآن .

استمعت إليه فى اهتمام ، ثم قالت فى حزم :

- بل ربما يكون الأمر أبسط من هذا بكثير .

سألها :

ـ ماذا تعنين ؟!

اعتدلت فى مقعدها ، مجيبة :

ـ صحيح أن المستقبل أمر ضخم ، ويحوى تطورات مذهلة ، ولكنك لا تستطيع أن تتصورَ قط كم تبلغ بساطة تغيير مساره ، فلو أنك عدت إلى الماضى ، وقتلت (هتلر) مثلاً(*) ، وهو لا يزال طفلاً فى مهده ، فربما يمنع هذا قيام الحرب العالمية الثانية كلها ، بكل ما أحدثته من تغيرات ، رفعت (روسيا) و(أمريكا) إلى قمة العالم .. ولو أنك عدت لتمنع (تيودور هيرتزل) مثلاً ، من عقد المؤتمر الصهيونى ، لما برزت منظمات

(*) (أدولف هتلر) : (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م) : ديكتاتور ألمانى ، وزعيم الحزب النازى ، ومؤسس الرايخ الثالث ، اشترك فى الحرب العالمية الأولى ، ثم أسس الحزب النازى ، نتيجة للأزمة الاقتصادية ، عام ١٩٢٩م ، وتم تعيينه رئيسًا للوزراء ، فى يناير ١٩٣٣م ، ثم رئيسًا للجمهورية عام ١٩٣٤م ، وأدت سياسته إلى الحرب العالمية الثانية ، التى انتهت بهزيمة (ألمانيا) وانتحاره .

صهيونية بعده ، وربما ما كان هناك وجود لدولة (إسرائيل) الدموية ، التى عانينا منها كثيرًا ، وهكذا .. باختصار ، من الممكن أن يكون ما تسعى إليه أمرًا بسيطًا فى ظاهره ، ولكن التدخل بشأنه ، فى مرحلة زمنية بعينها ، كفيل بتغيير مسار الأحداث كلها .

بدا عليه الاهتمام ، وهو يغمغم :

ـ أمر منطقى للغاية .

ثم اعتدل ، متسائلاً :

ـ ولكن ما الذى يمكن أن يحدث فى هذا الزمن ، ليؤثر فى مستقبل الأرض كله ؟!

أشارت بيدها إليه ، قائلة :

ـ أخبرنى أنت .. أنت القادم من المستقبل .

التقى حاجباه بضع لحظات ، قبل أن يلتقط جهاز كمبيوتر يدويًا صغيرًا للغاية من حزامه ويضغط أزراره ، قائلاً :

ـ هذا يحتاج إلى مراجعة تاريخية شاملة .

كان تركيزه كله محصوراً فى مراجعة البيانات التاريخية المستقبلية ، التى تتراص على الشاشة الصغيرة لجهاز الكمبيوتر اليدوى ، عندما هتفت (نشوى) فجأة :

- يا إلهى !

رفع عينيه إليها ، هاتفاً فى توتر بالغ :

- ماذا حدث ؟!

أشارت إلى جهاز الرصد ، وامتقع وجهها بمنتهى الشدة ، وهى تقول بصوت مرتجف ، حمل كل ذعر وانفعال الدنيا :

- إنهم هنا .

أدار عينيه فى سرعة إلى شاشة الرصد ..

ورآهم ..

رأى تلك الأشباح المستقبلية الرهيبة ، وهى تحمل أسلحتها العجيبة ، وتتجه نحو المخبأ السرى للفريق .. مباشرة .

* * *

٧ ـ الفارس ..

« ما هذا بالضبط ؟! »

هتفت خبيرة الصوتيات بالسؤال ، وهى تحدّق فى ذهول ، فى ذلك المشهد المبهر ، الذى يبدو من خلف الشق ، فى الفراغ الزمنى ..

مدينة رائعة ، تمتدّ إلى مدى البصر ، بمبانيها الشاهقة ، ذات الطراز المعمارى الفريد الأنيق ، والبحيرات الصناعية المنتشرة بينها ، والحدائق الغنّاء ، التى تمتدّ فى كل الاتجاهات ..

مشهد ، جعل خبير الأشعة يهتف ، بكل ما تموج به نفسه من انبهار :

- المستقبل ولا شك .

غمغم (هيثم) :

ـ المستقبل البعيد إذن ؛ فكل شيء يختلف عما نعرفه في عالمنا .. كل شيء .

مرَّت فجأة مركبةَ طائرة ، على بعد أمتار من الشق ، فاختلَّ توازن ثلاثتهم ، وخُيِّل إليهم أن أجسادهم تهوى فى الفراغ ، فهتف خبير الأشعة :

ـ رباه ! اختلال زمن آخر .

حاولت خبيرة الصوتيات أن تستعيد توازنها ، وهى تقول فى توتر :

ـ كلاً .. إننا لم نشعر بالألم أو الصداع ..

ترك (هيثم) جسده يسترخى ، حتى يمكنه السيطرة على توازنه ، وهو يقول :

ـ الأمر هذه المرة يختلف .. هناك شيء غير مألوف .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى صكّ أذنيه هدير عجيب ، جعله يعتدل ، إن صحّ هذا القول ، فى عالم من

الفراغ ، ويحدّق فى ذلك الشق ، المطلّ على العالم الغريب مرة أخرى ..

والتقى حاجباه فى شدة ..

فهناك ، وأمام الشق تمامًا ، كانت هناك كرة شفَّافة كبيرة ، معلّقة فى الهواء ، وبداخلها رجلان ، يحدقان فيه وفى زميليه ، فى ذهول لا يقل عن ذهولهم هم ، عندما انشقّ أمامهم الفراغ الزمنى ..

وفى توتر شديد ، غمغمت خبيرة الصوتيات ، وهى تتطلّع إلى الكرة الشفافة بدورها :

ـ إنهم يروننا .

غمغم خبير الأشعة :

ـ السؤال هو : ماذا سيفعلون ، بعد أن رأونا ؟!

بدت اللهفة فى وجهها وصوتها ، وهى تهتف :

ـ أتعشَّم أن تكون لديهم وسيلة ، لانتشالنا من هنا .

قال الرائد (هيثم) فى صرامة :

ـ هذا سيسلخنا من عالمنا إلى الأبد .

أجابه خبير الأشعة ، وهو ينهض ، ويلوّح بذراعيه فى انفعال :

ـ أليس هذا أفضل من الموت جوعًا وعطشًا .

قال (هيثم) فى توتر :

ـ ولكن ..

شىء ما فى أعماقه ، منعه من الاعتراض ، والخبيران يعدوان نحو ذلك الشقّ الزمنى ، ملوّحين بأذرعتهما فى لهفة ، باعتبارهما أمام أمل أخير فى النجاة ..

ولثوان ، ظلّت تلك الكرة الشفافة تحلّق أمام الشق ، والرجلان داخلها يتطلعان إليهم بنفس الدهشة ..

ثم فجأة ، انطلقت تلك الكرة مبتعدة ..

ومع ابتعادها ، صرخت خبيرة الاتصالات ، فى يأس وإحباط :

ـ لا .. لا تتركونا هنا .. لا ...

واتسعت عينا خبير الأشعة ، وتمتم فى مرارة :

لقد ابتعدوا .

أشار (هيثم) بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ ولكن الشق الزمنى مازال مفتوحًا .

« إياك أن تقترب منه .. » ..

انبعث الهتاف من خلفه بغتة ، بصوت حازم صارم ، فاستدار بكل كيانه ، وهو يستلّ مسدسه بحركة غريزية ، و ....

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى نقطة ما من الفراغ ، برز منها جسد بشرى ، وتبعه آخر ..

وبكل ذهول الدنيا ، هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ مستحيل !

فما رآه الثلاثة ، كان أمرًا مدهشًا ، ومنعطفًا مذهلاً .. فى مجرى الزمن ..

★ ★ ★

كل ذرة فى كيان (نشوى) توترت بشدة ، وهى تتطلَّع إلى الصغيرين ، اللذين استسلما للنوم ، على فراش صغير ، فى ركن المخبأ السرى ، ثم تنقل بصرها إلى شاشة الرصد ، التى تنقل صورة تلك الأشباح ، وهى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وفى حزم ، أشار إليها (طارق) ، قائلاً :

ـ اهدئى .

ثم تلفَّت حوله ، مستطردًا :

ـ ألا يوجد مكان خاص هنا ؟!

أشارت بيدها فى ذعر ، قائلة بصوت مبحوح :

ـ حجرات النوم الاحتياطية فحسب .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسحب مسدسًا خاصًا من حزامه ، وقال فى لهجة صارمة :

ـ ابقىْ مع الصغيرين هنا إذن .. واستخدمى كل الوسائل المتاحة لتأمين المكان ، بعد خروجى من هنا .

هتفت فى ارتياع :

ـ خروجك ؟! ولكن ..

قاطعها فى حزم :

ـ إنهم قادمون ، ولا يمكننا منعهم .. من الواضح أنهم قد رصدوا ما فعلناه هنا ، بجهاز رصد إليكترونى خاص ، قادهم إلى المخبأ السرى .

غمغمت :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

تطلَّع إليها لحظة ، قبل أن يقول ، بكل حزم وصرامة الدنيا :

ـ سيكون عليهم أن يقتلونى ألف مرة ، قبل أن يمسّوا شعرة واحدة منك .

أدهشتها لهجته العاطفية الحاسمة ، فحدَّقت فى وجهه لحظة ، قبل أن يقول هو فى حزم :

ـ ابذلى قصارى جهدك .

ثم اندفع نحو مدخل المخبأ السرى ، ووثب عبره إلى الخارج ، قبل أن يغلقه خلفه فى إحكام شديد ..

ولثانية أو ثانيتين ، حدّقت فى الباب الذى أغلقه خلفه ، وفى رأسها يلتهب ألف سؤال وسؤال ..

ما الذى يعنيه بقوله هذا ؟!

ما الذى يدور فى أعماقه بالضبط ؟!

وثب إلى ذهنها خاطر أفزعها ، فهزّت رأسها فى قوة ؛ لتطرده ، قبل أن ترفع عينيها إلى شاشة الرصد ، وتتمتم :

ـ ساعده يا إلهى ! ساعده .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان (طارق) يتسلّل فى خفة ، إلى منطقة تحجبه عن مجال رؤية تلك الأشباح ، وهو يضع على رأسه خوذة خاصة ، تتيح له القدرة على الرؤية فى الظلام ، والتقاط الأصوات البعيدة ..

وعلى مسافة أمتار قليلة منه ، توقّف الأشباح الخمسة ، الذين يقتربون من المخبأ السرى ، وقال أحدهم فى حزم شرس ، وهو يشير بيده :

ـ المنطقة ، التى نبحث عنها ، فى مكان ما هنا .. انتشروا ، وابحثوا عن أى مدخل سرى .

سأله أحدهم ، وهو يمسك بيده جهازًا صغيرًا :

ـ مازلنا نلتقط تعاملات إليكترونية قريبة .

عضّ (طارق) شفته فى توتر ، وهو يتمنى لو أجرى اتصالاً بـ (نشوى) ، فى تلك اللحظة ، وطلب منها إيقاف كل الأجهزة الإليكترونيةَ ، التى ترشد الأشباح إلى مكمنها ، ولكنه كان يعلم أن أى اتصال يجريه ، كفيل بكشف أمره وأمرها معًا ..

وفى حيرة متوترة ، راح يتصفّح ذهنه ، محاولاً إيجاد وسيلة مناسبة ، لمواجهة أشباح غير ملموسة ، يمكنها أن تسحقه بأسلحتها ، دون أن يمتلك هو وسيلة واحدة لخدشها ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى أحزمة الأشباح ..

كان يعلم أن قوامهم الشبحى تكمن قوته فى تلك الأحزمة ..

فى سلاح ما فيها ..

وتمنى فى تلك اللحظة ، لو أمكنه الحصول على واحد من تلك الأحزمة ؛ حتى يكشف سرها ، ويبحث عن وسيلة لإبطال مفعولها ..

وفى توتر ، قبض على مسدسه فى قوة ، وهو يراقب الأشباح الخمسة ، الذين انتشروا فى المنطقة ، للبحث عن مدخل المكان ، الذى يرصدون منه تلك التعاملات الإليكترونية ..

وكان أحدهم يقترب من مكمنه ..

يقترب كثيرًا ..

وحبس (طارق) أنفاسه ، وعقد حاجبيه ، ورأسه

يكاد يلتهب ، من فرط سعيه للبحث عن وسيلة ما للمقاومة ..

أية وسيلة ..

ثم فجأة ، تألَّقت فى رأسه فكرة ما ..

فكرة لم يدر ما إذا كانت صالحة للتنفيذ أم لا ..

ولكن الوقت لم يكن يكفى لدراستها بدقة ..

لذا ، فقد وضعها موضع التنفيذ ..

وعلى الفور ..

وفى سرعة وخفة ، انتزع شعار المخابرات العلمية الحربية ، من مكانه على قميصه ، وألقاه بعيدًا ، على مسافة أمتار قليلة من ذلك الشبح ، الذى يقترب منه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع اقترابه ، حبس (طارق) أنفاسه أكثر ، وتجمَّد فى مكانه تمامًا ، وتحفزت سبَّابته على زناد مسدسه ، و ...

وفجأة ، توقَّف الشبح ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فى الشعار ، الملقى عند قدميه ..

وللوهلة الأولى ، أدرك أن هذا الشعار لا ينتمى إلى هذا الزمن ..

فلأنه قادم من المستقبل ، كان يعلم أن المخابرات العلمية والمخابرات الحربية سيتمّ دمجهما ، بعد عدة سنوات ، لتنشأ المخابرات العلمية الحربية ، التى يرى شعارها تحت قدميه الآن ..

وفى توتر ، تلفَّت الشبح حوله ، وتحفَّز على نحو واضح ، ولكن (طارق) ظلّ ثابتًا ، كامنًا ، دون أن تبدر عنه أدنى حركة ، أو يصدر عنه أدنى صوت ..

ولثوان ، ظلّ الشبح يتلفَّت حوله فى تحفُّز ، قبل أن يعود ليلقى نظرة على الشعار المعدنى ، متمتمًا :

- ترى هل ....

لم يتمّ تساؤله ، وبدا عليه التردُّد لحظة ، ثم تلفَّت حوله مرة أخيرة ، قبل أن يضغط ذلك الزر فى حزامه ، وهو ينحنى لالتقاط الشعار ..

ولكن (طارق) ظلّ ثابتًا ، كامنًا ، دون أن تبدر عنه أدنى حركة ، أو يصدر عنه أدنى صوت ..

وتموّج جسده الشبحى لحظة ، قبل أن يتجسّم جسده المادى ، وتنخفض أصابعه ؛ لالتقاط الشعار المعدنى ، و ...

وكانت هذه هى اللحظة ، التى ينتظرها (طارق) بالضبط ..

لذا فقد وثب من مكمنه كالفهد ..

وانقضّ كالصاعقة ..

ومع مقاتل مستقبلى فذّ مثله لم يستغرق الأمر سوى ثوان معدودة ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ..

فمع وثبته ، انطلقت قبضته كالقنبلة ، تهشّم أنف الرجل ، ثم قفزت قبضته الثانية ، تكتم أية صرخة ، يمكنِ أن تنطلق من بين شفتيه ، اللتين تمزقتا ، مع تحطّم أسنانه ، وهو يسقط فاقد الوعى ..

وفى خفة مدهشة ، التقطه (طارق) بين ذراعيه ، وجذبه إلى مكمنه ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ كنت أعلم أنك ستفعلها أيها المجرم .. كنت أعلم

أنك لا بد أن تستعيد كيانك المادى ؛ لتنتقط الشعار .. كنت أعلم هذا جيّدًا .

أسرع يحلّ حزام الرجل ، ويفحصه فى اهتمام بالغ ..

كان حزامًا من مادة لينة ، أشبه بالبلاستيك ، ولكنها أكثر قوة ومتانة ، ويحوى عدة أزرار مختلفة الألوان ، وعددًا من الأسلحة المختلفة ..

وفى اهتمام وسرعة ، راح (طارق) يدرس تلك الأسلحة ، التى كان معظمها مألوفًا لديه ، فيما عدا ثلاثة أو أربعة منها ، كانت تفوق عصره بالتأكيد ..

أما ذلك السلاح ، الذى يطلق الفقاقيع ، فقد بدا أشبه بلعبة أطفال ، فى يد (طارق) ، الذى غمغم :

ـ عجبًا ! كيف يمتلك شيئًا كهذا ، كل هذه القوة ؟!

ألقى حيرته هذه جانبًا فى سرعة ، ثم ارتدى ذلك الحزام ، وعيناه تتابعان باقى الأشباح ، الذين اقترب بعضهم من المدخل السرى للمخبأ ، وغمغم فى توتر :

ـ رباه ! سيكشفون الأمر حتمًا .

أحكم قفل الحزام حول وسطه ، ثم التقط سلاح الفقاقيع ، وضغط الزر ، الذى رأى الشبح يضغطه من قبل ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

وفى نفس اللحظة ، التى هتف فيها أحد الأشباح الآخرين ، يُعلن عثوره على المخبأ ، الذى تختبئ فيه (نشوى) مع الصغيرين ، كان هناك صوت آلى ينبعث من الحزام ، قائلاً :

ـ المستخدم تغيَّر .. أدخل كود الأمن الخاص ، أو يتمَّ نسف الحزام الأمنى خلال ثلاثين ثانية ..

وعلى الفور ، بدأ العد التنازلى على شاشة صغيرة فى واجهة الحزام ، والتحم قفله ، بحيث صار من المستحيل نزعه ..

وكان هذا يعنى أن لحظات (طارق) قد أصبحت معدودة ، فى هذا الزمن ..

أو فى الحياة ..

كلها ..

* * *

لم يصدِّق الرائد (هيثم) عينيه ، وهو يحدِّق فى (نور) و(أكرم) ، اللذين برزا من قلب الفراغ ، بزى الغوص الشبيه بأزياء الفضاء ، وكلاهما يحمل خوذته تحت أبطه ، فى حين هتفت خبيرة الصوتيات فى انبهار :

ـ المقدِّم (نور) ! يا إلهى ! يا لها من مصادفة !

قال (أكرم) ، فى شىء من التوتر :

ـ لا توجد أية مصادفات هنا .

بدا عليهم تساؤل حائر ، فقال (نور) ، وهو يتجه نحوهم :

ـ من الواضح أنه قد تم نقلكم إلى هذا الجيب الزمنى ، بالوسيلة نفسها ، التى نقلتنا إليه ، ولكن أمرنا كان يختلف عنكم ، فى أننا كنا نرتدى أزياء الغوص المطوَّرة هذه .

غمغم خبير الأشعة فى دهشة :

ـ أهذه أزياء غوص ؟!

أجابه (نور) :

ـ إنها تشبه أزياء الفضاء قلبًا وقالبًا ، وهى مجهَّزة بحيث تؤمِّن لمرتديها كل الظروف المعيشية المناسبة ، من ضغط وحرارة وغيرها ، ولأننا كنا نرتديها ، فقد أمكننا التعامل مع ذلك الجيب الزمنى على نحو أفضل .

هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ ولكن كيف عثرتما علينا ؟!

أجابها (نور) على الفور :

ـ الأزياء المجهَّزة جعلتنا قادرين على التجوال ، عبر هذا الجيب الزمنى ، ومكنتنا من كشف طبيعته ، حتى انفتح فيه شق ما ، فى مكان ما .

هتف الرائد (هيثم) :

ـ كان هذا عندما فقدنا الطيَّار .

تابع (نور) ، دون أن تستوقفه عبارة (هيثم) :

ـ الاختلال الزمنى ، الذى أحدثه ذلك الشق ، قادنا

إليكم ، وحدَّد لنا اتجاهكم ، ولكنه لم يستغرق طويلاً ، إلا أننا قررنا السير فى خط مستقيم .

اندفع (أكرم) يقول ، وهو يشير إلى الشق الجديد :

ـ حتى حدث هذا الاتصال الزمنى .

قال خبير الأشعة :

ـ تقصد هذا الشق ؟!

هزَّ (أكرم) كتفيه ، وهو يقول :

ـ ربما .. ولكن (نور) يُطلق عليه اسم الاتصال الزمنى .

قال (نور) ، موضِّحًا ما يقوله (أكرم) :

ـ لو انتبهتم جيِّدًا ، ستدركون أن ذلك الشق قد استغرق وقتًا طويلاً ، دون أن يُحدث أى خلل زمنى ، وهذا يعنى أن ما يحدث الآن يختلف تمامًا ، عما حدث من قبل .

قالت خبيرة الصوتيات فى سرعة وانفعال :

- نعم .. يختلف فى كل شىء ؛ فنحن نطلّ الآن على المستقبل البعيد ، وليس الماضى السحيق ، الذى كان يطلّ عليه الشقّ السابق .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يتطلّع إلى المشهد الذى يبدو عبر الشق الجديد ، مغمغمًا :

- المستقبل البعيد ؟!

قالها ، وهو يقترب من الشق فى حذر ، ويتطلّع إلى المدينة الممتدّة أمامه ، فلحق به الرائد (هيثم) ، قائلاً :

- هذا يبدو واضحًا يا سيادة المقدّم ؛ فكل شىء هنا يختلف عما ألفناه ، ومتطوّر بشدة فى الوقت ذاته .. انظر إلى تلك المركبات الطائرة هنا وهناك ، والطرز المعمارية ، و ...

قاطعه (نور) فى توتر :

- واللغة ! .

تساءل (أكرم) فى دهشة :

- وكيف يمكنك الجزم بأمر اللغة ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، مجيبًا :

- هذا ليس عسيرًا .

تطلّع الأربعة إلى حيث يشير ، وبدت لهم بعض النقوش غير المميّزة ، على قمة مبنى بعيد ، فتساءل خبير الأشعة فى قلق :

- أهذه لغة ؟!

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

- كيف تبدو لك ؟!

حدّق الأربعة فى تلك النقوش بضع لحظات ، قبل أن يقول خبير الأشعة ، فى حيرة شديدة التوتر :

- ولكنها لا تشبه أية لغة نعرفها فى عالمنا .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

- بالضبط .. هذا ما أردت قوله بالتحديد .

سأله (أكرم) فى قلق :

- المهم ما الذى يعنيه ؟!

أجابه (نور) فى اهتمام ، وهو يتطلَّع مرة أخرى إلى تلك المدينة ، بكل ما يحيط بها من جبال :

- سل نفسك يا (أكرم) .. لقد سقطنا فى جيب زمنى ، ثم وجدنا أمامنا عالمًا يختلف تمامًا عن عالمنا ، فى كل شىء .. مبانيه .. لغته .. تضاريسه .. كل شىء .. فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

قالت خبيرة الصوتيات فى توتر :

- يمكن أن يعنى الكثير .

أضاف (هيثم) فى سرعة :

- والخطير .

حدَّق (أكرم) فى المشهد ، الذى يبدو من خلف الشق ، بكل توتر الدنيا ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، قائلاً فى عصبية :

- هل يمكنك أن تشرح لى ، ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط يا (نور) ؟!

هتف خبير الأشعة :

- لا تقل إننا قد انتقلنا إلى عالم آخر .

لم يكد هتافه يكتمل ، حتى برزت كرة شفافة أخرى ، خلف ذلك الشق ..

كرة أكبر حجمًا ، تكتظ بعدد من الرجال ..

ثم ظهرت كرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وخلال أقل من دقيقة ، امتلأت السماء بعشرات الكرات الشفافة ، التى تضم مئات الرجال ، فى ثياب عجيبة غير مألوفة ، وعيونهم كلهم تتطلع إلى أبطالنا الخمسة ، بكل دهشة وفضول الدنيا ..

وبكل العصبية ، هتف (أكرم) :

- أشعر وكأننى سمكة غريبة ، داخل حوض زجاجى كبير ، فى متحف للأسماك .

غمغم (نور) فى حذر :

- تذكَّر أن ما يرونه يعدّ أيضًا مذهلاً ، من وجهة نظرهم .

قال الرائد (هيثم) فى عصبية :

- ليس هذا هو المهم .

ثم ازدرد لعابه فى صعوبة ، مضيفًا :

- المهم ما الذى سيفعلونه .

لم يكد سؤاله ينتهى ، حتى أتاهم الجواب بغتة ..

أتاهم على هيئة مادة سائلة ، انطلقت من مكان مجهول ، فى الكرة الشفافة ، التى تواجههم تمامًا ..

مادة لم تكد تلمس أجسادهم ، حتى تجمَّدت بغتة ، وتحوَّلت إلى ما يشبه شبكة مطاطية قوية ..

قوية للغاية ..

وبمنتهى القوة ، التصقت بهم تلك الشبكة ، وأحاطت بأجسادهم ، فصرخت خبيرة الصوتيات فى رعب :

- يا إلهى ! إنهم يصطادوننا .

صاح (أكرم) ، وهو يقاتل تلك الشبكة الملتصقة به ، فى عنف واستماتة وشراسة :

- يا للأوغاد ! كم أفتقد مسدسى .

ذكر المسدس ، جعل الرائد (هيثم) يتذكَّر مسدسه ، فرفع فوهته ، وأطلق أشعته على خيوط تلك الشبكة المطاطية ..

وتمزَّقت الخيوط فى عنف ..

ولكن ، فى اللحظة نفسها ، تراجعت الكرة الشفافة الكبيرة بحركة حادة ، وجذبت الخمسة إليها بمنتهى القوة ..

ومع الجذبة القوية المباغتة ، طارت أجسادهم ، واندفعت عبر ذلك الشق ، بسرعة مخيفة ..

وانتفضت أجسادهم بمنتهى العنف ، مع ذلك الخلل الزمنى ..

وشعر (نور) بضغط هائل ، على رأسه وعينيه ، وسمع صرخة ألم قوية تحمل صوت خبيرة الصوتيات ..

ثم أظلمت الدنيا أمامه ..

وانهار جسده تمامًا ..

فى ذلك العالم الجديد ..

والعجيب !

للغاية .

* * *

٨ ـ زمن .. وزمن ..

اضطربت كل ذرة فى كيان (نشوى) ، إلى أقصى حد ممكن ، وهى تنقل بصرها بين شاشة الرصد ، التى أعلنت أن الأشباح قد صاروا قاب قوسين أو أدنى منها ، وشاشة جهاز الكمبيوتر ، التى تستعرض عليها كل وسائل التأمين المتاحة للمخبأ ..

كانت هناك عشرات الوسائل ، التى ابتكرتها بنفسها ، لتأمين المدخل السرى ، ومنع أية محاولة للتسلُّل إليه ..

عشرات الوسائل ، التى تكفى لسحق أى خصم ، فى أية محاولة عنيفة أو ذكية للاقتحام ..

وليس من بينها وسيلة واحدة ، لمواجهة أشباح ..

أشباح غير ملموسة ، فقدت كيانها المادى ، وأصبح بمقدورها اختراق أية حواجز ، دون أن يقف أمامها عائق ..

أشباح لا يوجد سلاح أرضى واحد ، قادر على منعها والتصدّى لها ، أو إيقافها ، بأية صورة من الصور ..

وفى وضوح ، نقلت إليها شاشة الرصد صورة الأشباح الأربعة ، الذين أشاروا إلى مدخل المخبأ السرى ، وطالعوا جهاز الرصد الصغير فى يدهم ، قبل أن يتلفتوا حولهم ، بحثًا عن زميلهم الخامس ..

ومن خلال جهاز التنصُّت الدقيق ، نقلت إليها شاشة الرصد صوت أحدهم ، وهو يقول فى حنق :

ـ أين ذهب هذا الغبى ؟!

قال آخر فى قلق :

ـ لست أرى له أى أثر .. أخشى أن يكون قد أصابه مكروه ؛ فلم يكن من المفترض أن يبتعد كثيرًا .

تلفَّت الثالث حوله ، قائلاً فى عصبية :

ـ هل سننتظره حتى يعود ؟!

رفع الرابع سلاحه فى تحفُّز ، قائلاً :

ـ إذا ما عاد .

تبادل الأربعة نظرة صامتة شرسة ، خفق لمرآها قلب (نشوى) فى عنف ، وهى تتمتم :

ـ رباه ! أين (طارق) ؟! ماذا أصابه ؟! أين اختفى ؟! يا إلهى ! كم أخشى أن .. أن ..

لم تستطع إكمال عبارتها ، أو مجرَّد تصورّ الفكرة ، وسرت فى جسدها قشعريرة باردة كالثلج ، وبخاصة عندما قال الشبح الأوَّل ، الذى بدا وكأنه قائد المجموعة ، فى صرامة شديدة :

ـ مهمتنا أن نقتحم هذا المكان ، ونسحق كل من بداخله ، ولن يوقفنا غياب واحد منا ، أيًّا كان سبب هذا .

ثم أشار بيده ، مستطردًا بلهجة وحشية مخيفة :

ـ هيا .

انتفض قلبها فى عنف ، عندما شاهدتهم يتجهون نحو الجدار المزدوج للمخبأ ، والذى يبدو فى صورة سور نصف متهدِّم ..

ثم يخترقونه بأجسادهم الشبحية ..

وتسارعت أصابعها على أزرار الكمبيوتر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم لم تجد أمامها سوى وسيلة واحدة ..

وبكل ما يعتمل فى نفسها من انفعالات ، ضغطت زرًا أخيرًا ..

ومع ضغطتها ، سرى فى جدران المخبأ تيار كهربى قوى ، تبلغ شدته مائة ألف فولت دفعة واحدة(*) ..

ومع شدة التيار ، صدر من الجدران أزيز متقطع(**) ، وبدا وكأنه يرتجف فى قوة وعنف ..

(*) فولت : الوحدة العلمية للقوة الدافعة الكهربائية وفرق الجهد ، وهى قوة الدفع الكهربائى ، أو فرق الجهد ، التى تنتج تيارًا مقداره أمبير واحد ، حينما تؤثر تأثيرًا ثابتًا على موصل مقاومته الكهربية أوم واحد ..

(**) التيار الكهربى العادى يطلق عليه اسم التيار المتردد ، أما ذلك الذى ينشأ عن البطاريات الجافة ، فهو تيار مستمر ..

وشهقت (نشوى) فى قوة ..

وحدّقت فى الجدار بكل التوتر ..

والقلق ..

والذعر ..

شاشات الرصد ارتبكت فى عنف ، مع التيار الذى يسرى فى الجدران ، واختلّت الصورة عليها فى شدة ..

وُخيِّل لـ (نشوى) أن كل شىء سينهار ، على رأسها ورأس الصغيرين ..

وبمنتهى العنف ..

وفى ذعر ، هبّ الصغيران من فراشهما ، وانفجرا باكيين ، على نحو انفطر له قلبها ، فأسرعت إليهما ، وضمتهما إلى صدرها ، وقلبها ينتفض بين ضلوعها كطير ذبيح ، وعقلها يتساءل مذعورًا : هل سيكفى ما فعلته ؛ لمنع تلك الأشباح من اقتحام المكان ، و ...

وقبل أن يكتمل تفكيرها وتساؤلها ، دوت فى المكان بغتة فرقعة قوية ..

ثم اخترق الأشباح الأربعة الجدار ..

لخترقوه بوثبة مباغتة ، ووقفوا أمامها ، بأجسادهم نصف الشفافة ، يصوبون إليها أسلحتهم العجيبة ، وقائدهم يبتسم فى سخرية ، قائلاً :

- محاولة طريفة يا فتاتى ، ولكنها لا تكفى .

وانطلقت من حلقه ضحكة وحشية ساخرة ، جعلت الصغيرين ينفجران بالبكاء مرة أخرى ، قبل أن يشير إلى الآخرين ، قائلاً :

- الكهرباء لا تكفى لإيقافنا .

ارتفعت فوهات الأسلحة الأربعة نحوها ، وقائدها يكمل فى شراسة :

- ولكن أسلحتنا تكفى لسحقك سحقًا .

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، وضمت الصغيرين إليها فى قوة ، وتمنت لو أمكنها أن تفديهما بحياتها ، و ...

وفجأة اقتحم شبح خامس الجدار ..

اقتحمه كالعاصفة ، لينقض على الأشباح الأربعة كجيش من الأسود ..

وانتفض جسد (نشوى) مرة أخرى فى عنف ..

وصرخت بكل لهفتها ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدق فى شبح (طارق) ، الذى راحت أطرافه تتحرك بسرعة ومهارة مذهلتين ، لتلكم هذا ، وتحطم أنف ذاك ، وتسحق فك ثالث ، وتهوى على رأس رابع ..

ضربات عنيفة متوالية مدهشة ، انتهت بسقوط الأشباح الأربعة أرضًا ، ونهوضه هو ، قائلاً بصوت لاهث :

- حمدًا لله .. لقد وصلت فى الوقت المناسب .

حدقت فيه ، وفى الحزام الذى يرتديه ، هاتفة فى فرح ..

- رباه ! لقد فعلتها يا (طارق) .. لقد فعلتها ..

هتف ، وهو يسرع نحو جهاز الكمبيوتر ، بهيئته الشبحية :

- ما توقّعته كان صحيحًا .. التحوّل إلى صورتهم الشبحية ، يجعل المرء قادرًا على التعامل معهم .

انتبه إلى كيانه الشبحى ، عندما اخترقت أصابعه لوحة الأزرار ، فالتفت إليها ، قائلاً فى توتر :

- هناك مشكلة .

أعادت الصغيرين إلـى فراشـهما فـى رفق ، وهـى تسأله في قلق شديد :

- أية مشكلة ؟!

أشار إلى الحزام الذى يرتديه ، قائلاً :

- هذا الحزام مزوّد بنظام أمنى خاص ، بحيث يتمّ تفجيره خلال ثلاثين ثانية ، إذا ما ارتداه شخص آخر ، بخلاف صاحبه الأصلى ، ولقد كاد ينفجر بالفعل ، لولا أن استخدمت جهازًا خاصًا من زمنى ، يمكنه إيقاف العد التنازلى لجهاز التأمين ، وتشغيله على نحو مؤقّت ، لمدة لا تزيد على ثلاث دقائق .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يستطرد ، فى توتر أكثر :

- وهذه المدة ستنتهى خلال أربعين ثانية ، أو فور إيقاف عمل المفاعل الشبحى .

غمغمت :

- يا إلهى !

تابع بتوتر متصاعد :

- وعندئذ ستكون أمامك أربع وعشرون ثانية ، لإيقاف عمل ذلك النظام الأمنى ، أو تزويده برقمه الكودى السرى ، وإلا ...

ازدرد لعابه ، ليكمل فى عصبية :

- وإلا فسينفجر الحزام ، و ...

لم يكمل عبارته ..

ولكنها فهمت ما يعنيه ..

وارتجفت كل خلية فى جسدها ..

ولثوان ، حدَّقت فى وجهه ، قبل أن تهبَّ من مكانها ، وتندفع نحو جهاز الكمبيوتر ، قائلة فى انفعال :

ـ دعنا لا نضيع ثانية واحدة إذن .

أوقفت عمل جهاز التأمين الكهربى بضغطة زر ، ثم راحت أصابعها تعدو بأقصى سرعتها ، فوق أزرار الكمبيوتر ، وهى تقول :

ـ لقد ابتكرت برنامجًا خاصًا ، يمكنه أن يحلّ أعقد الشفرات وأصعبها ، وأدق النظم الأمنية وأخطرها ، خلال مدة لا تزيد على الدقيقة الواحدة .

قال فى توتر :

ـ لسنا نمتلك هذه الدقيقة .

انتقل انفعالها إلى صوتها ، وهى تقول :

ـ فلنأمل فى رحمة الله (سبحانه وتعالى) .

غمغم :

ـ ونعم بالله .

ثم راحت أصابعها تعدو بأقصى سرعتها ، فوق أزرار الكمبيوتر ..

أوصلت وحدة خاصة بجهاز الكمبيوتر ، ثم أمسكت طرفها الآخر ، والتفتت إليه قائلة فى توتر بالغ :

ـ أحتاج إلى توصيل الكمبيوتر بالحزام .

تنهَّد ، مغمغمًا :

ـ فليكن .

قالها ، وضغط ذلك الزر فى حزامه ، فتموَّج جسده لحظة ، ثم استعاد ماديته وتجسُّمه ، فأسرعت هى توصل الطرف الآخر للوحدة الإليكترونية بحزامه ، ثم عادت أصابعها تضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ولهفة ..

وتراصت عشر خانات على الشاشة ..

وكان هذا يعنى أنها أمام شفرة أمنية من عشر خانات ..

وهذا أمر عسير ..

إلى أقص حد ..

وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تعمل بأقصى سرعتها ، الذهنية واليدوية ، وقلبها يخفق بمنتهى القوة ..

والعنف ..

والرعب ..

فأصابعها تعمل بأقصى سرعة ، يمكنها العمل بها ..

والثوانى تمضى بسرعة مخيفة ..

وعلى الشاشة انكشف رقم ، من الشفرة الأمنية ..

وثان ..

وثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

وتوترت كل ذرة فى كيان (طارق) أكثر وأكثر ..

وتصبَّب العرق على وجهه غزيرًا .

وانخفض الوقت المتبقى بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

ثم انكشف رقم سادس ..

وسابع ..

وثامن ..

وبكل توترها ، هتفت (نشوى) لنفسها :

ـ أسرعى يا (نشوى) .. أسرعى با لله عليك .

ألقى (طارق) نظرة على ساعته ، التى أشارت إلى أنه لم يتبق أمامها سوى خمس ثوان فحسب ..

ورقمان ..

الرقم التاسع انكشف ..

وتبقَّى رقم واحد ..

وثلاث ثوان ..

و ...

« عبقرية بحق ، كما تقول عنك كتب التاريخ .. »

انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، مع ذلك الصوت

الساخر القاسى ، الذى انبعث من خلفها بغتة ، فى حين انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، وتوترت كل ذرة من كيانه بمنتهى العنف ، وهو يحدِّق فى شبح ابن السيِّد (أمجد) ، زعيم جيش الغزاة المستقبلى ، الذى عبر جدار المخبأ ، مع دستة من الأشباح ، ووقف معهم يصوِّب إليه وإلى (نشوى) سلاحه القاتل ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة وحشية ظافرة ..

وكان هذا يعنى أن المعركة قد انحسمت أخيرًا ، لصالح الغزاة ..

غزاة المستقبل ..

المظلم ..

* * *

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يستعيد وعيه فى بطء .. و

كان هناك صداع عنيف يكتنف رأسه ، وكيانه كله ، ودوار يحيط به ، كما لو أنه يسقط فى دوَّامة عميقة ..

عميقة ..

بلا قرار ..

ومن بعيد ، تناهت إلى مسامعه أصوات متداخلة ..

أصوات بلغة لم يفهمها ..

ولم يستطع حتى تمييزها ..

لغة لا تشبه أية لغة معروفة ، على كوكب الأرض ..

هذا وحده ، جعله يستعيد وعيه كاملاً ، ويعتدل بحركة حادة ، محدقًا فيما حوله ..

كان يرقد على منضدة شفافة ، لها ملمس مخملى عجيب ، وسط قاعة زجاجية كبيرة ، وإلى جواره ، وعلى مناضد مشابهة ، رقد (أكرم) ، والرائد (هيثم) ، والخبيران ..

وحول القاعة الزجاجية ، كان هناك عشرات ، من رجال ونساء ، يتطلعون إليهم فى اهتمام ..

وفور نهوضه ، راح بعضهم يسجّل بعض البيانات ، على كرة شفافة ، استنتج (نور) أنها بديل للكمبيوتر ، الذى يعرفه فى زمنه ، فى حين راح البعض الآخر يتابع حركته ، بوساطة ما يشبه آلات التصوير ..

وفى توتر ، لم يستطع منعه ، هتف (نور) :

ـ من أنتم ؟! وفى أى زمن نحن ؟!

تراصت نقوش إليكترونية سريعة ، على شاشة طويلة أمامه ، وكأنها محاولة لترجمة عباراته ، وبدا الاهتمام على وجوه الجميع ، كما يمكن أن يفعل العلماء فى زمنه ، إذا ما فوجئوا بكائنات تقتحم عالمهم ، عبر فجوة فى جدار الزمن ..

كان من الواضح أن افتقاد لغة الحوار ، يجعل الأمر عسيرًا للطرفين ، فهبط (نور) عن تلك المنضدة ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ نحن لسنا من عالم آخر .. نحن من زمن آخر .

تطلّعت إليه كل الوجوه فى انتباه ، وعادت تلك الشاشة ترسم نقوشًا إليكترونية ، فى محاولة للترجمة ..

وزفر (نور) فى يأس مرير ..

فاللغة المستخدمة ، فى تلك النقوش ، لم تكن شبيهة بأية لغة أرضية يعرفها ..

حتى اليونانية ، والروسية ، واليابانية ، وكل اللغات الأخرى ، التى لا تستخدم حروفًا بسيطة ..

وهذا ما يثير حيرته وتوتره ..

إلى أقصى حد ..

فخبيرة الاتصالات ، فى فريق الرائد (هيثم) ، قدَّرت أن هذا هو المستقبل البعيد ..

البعيد جدًا ..

وهو افتراض يبدو منطقيًا ، مع كل ما يحيط به ..

التكنولوجيا شديدة التطوّر ..

والذكاء المطلّ من العيون ..

والطرز المعمارية شديدة الاختلاف ..

ولكن ما يحيّره ويقلقه هو اللغة ..

صحيح أن اللغات أيضًا تتطورّ مع الزمن ..

ولكنها لا تتغيَّر تمامًا ..

لا تختلف عن كل اللغات المعروفة ، فى الأزمنة السابقة ..

هذا لا يبدو منطقيًا ، حتى ولو بعد ألف عام من التطوّر ..

بالنسبة إليه على الأقل ..

ثم إن كل شىء يوحى بأنهم لم ينتقلوا إلى عالم آخر ..

الهواء الذى يتنفّسه ..

والطقس ..

والبشر من حوله ..

إنهم بشر بالتأكيد ..

صحيح أنهم يمتلكون جباها عريضة بارزة ، أكثر من المألوف ..

ولكنهم بشر ..

وهذا يزيد من حيرته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

« أين نحن ؟! »

نهض (أكرم) بحركة حادة ، وهو يلقى السؤال فى عصبية ، فاستدار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ اهدأ يا صديقى .. إنهم يراقبوننا .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ يراقبوننا ؟!

ثم هبط من فراشه الشفاف ، مستطردًا فى غضب عصبى :

ـ لماذا ؟ أنحن حيوانات مفترسة ، تم اصطيادها من غابة مجهولة ؟!

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ بأسلوبك هذا ، سيتصوَّرون حتمًا أننا كذلك .

حدَّق فى وجهه لحظة مستنكرًا ، قبل أن يدير عينيه إلى العيون ، التى تراقبه فى اهتمام بالغ ، وترصد وتسجِّل كل حركاته وسكناته ، ثم يقول فى حنق :

ـ يا للسخافة !

قال (نور) فى توتر :

ـ اهدأ يا صديقى .. اهدأ .. حاول أن تتماسك جيِّدًا ، فعلى الرغم من أن هذا يحنقك ويُغضبك ، إلا أن هذا الجيش ، الذى يحيط بنا ، يرصد كل حركة نقوم بها ، فى محاولة لتقييم طبيعتنا ، وردود أفعالنا .

غمغم (أكرم) فى سخط :

ـ تمامًا كحيوانات التجارب .

قال (نور) فى سرعة :

ـ بالضبط .. إنهم يتعاملون معنا كمخلوقات من عالم آخر ، ونحن كذلك بالفعل ، بالنسبة لهم ، وعلينا أن نثبت لهم أننا قد جئنا فى سلام ، وأننا مخلوقات عاقلة مثلهم .

هتف فى حنق :

ـ نحن أكثر عقلاً منهم .

ربّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

ـ فلنثبت لهم هذا إذن .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ وكيف ؟! بأن نجلس هنا هادئين مهذبين ؟!

قال (نور) فى صرامة :

ـ بل بأن نتصرّف كمتحضرين .

حدّق فيه (أكرم) فجأة ، فى دهشة مستنكرة ، فسأله فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (أكرم) ؟!

هتف فى توتر :

ـ لقد نزعوا ثيابنا .

انتبه (نور) ، فى هذه اللحظة ، إلى أنه لايرتدى زى الغوص المطوَّر ، وإنما هو ، و(أكرم) ، والجميع يرتدون ثيابًا بيضاء ، من قطعة واحدة ، تنعكس عليها الأضواء على نحو عجيب ، وبألوان متداخلة ، فغمغم ، وهو يرفع عينيه إلى (أكرم) فى توتر :

ـ مادة هذه الثياب توحى بأنها ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه بدهشة بالغة ، فاستدار (أكرم) إلى حيث يحدّق (نور) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا هناك ؟!

ولكن ما إن وقع بصره على ما رآه (نور) ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما بدوره ، واختلجت كل خلية فى جسده ، بدهشة ما بعدها دهشة ..

فما شاهده كان أمرًا خارقًا للمألوف ، ويقلب كل ما ملأ رأسه من احتمالات ، رأسًا على عقب ..

ألف مرة .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(قراصنة الزمن)

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

139

الثمن فى مصر ٢٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع

حرب الأشباح

- ما المفاجأة الرهيبة ، التى تنتظر طوافات الإنقاذ ، عند المدمرة (غجر) ؟!
- من ذلك الشبح المجهول ، الذى اختطف المستشار الأمنى للرئيس فى عالمنا ؟!
- ترى كيف تدور معركة بين زمنين .. ومن يمكن أن ينتصر ، فى (حرب الأشباح) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

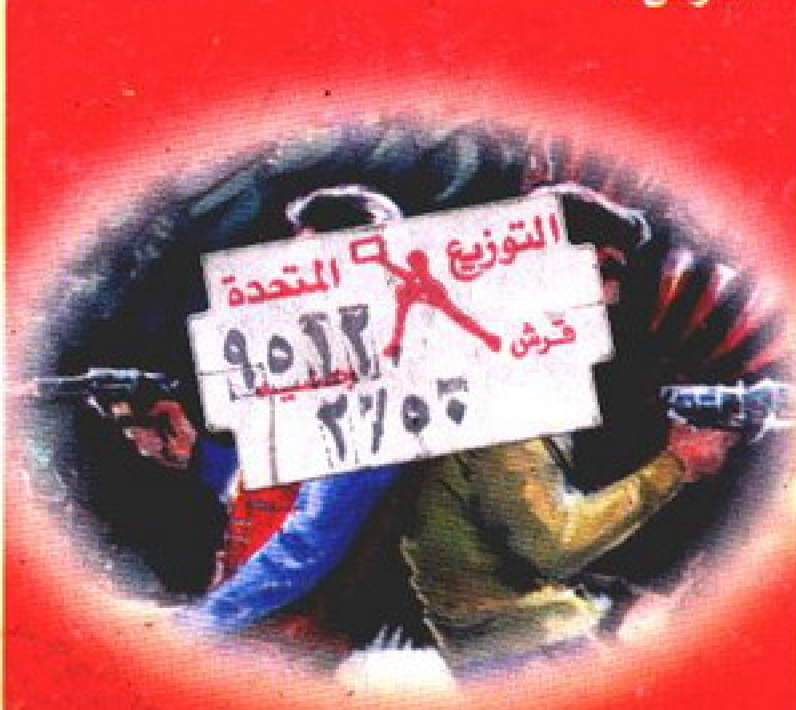

العدد القادم
(قراصنة الزمن)